

## سورة «النجم»

### مكيّة، وهي إحدى وستون آية

مكيّة كلّها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشَ﴾<sup>(١)</sup> الآية [٣٢]. وقيل: اثنتان وستون آية<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنَّ السورة كلّها مدنيّة. والصحيح أنّها مكيّة؛ لما روى ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هي أوّل سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة<sup>(٣)</sup>. وفي «البخاري»<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس: أنّ النبي صلى الله عليه وآله سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والإنس. وعن عبد الله أنّ النبي صلى الله عليه وآله قرأ سورة النجم فسجد لها، فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفّاً من حصباء أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا. قال عبد الله: فلقد رأيتُه بَعْدُ قَتَلَ كافرًا. متفق عليه<sup>(٥)</sup>. الرجل يقال له: أميّة بن خلف<sup>(٦)</sup>. وفي «الصحيحين» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي صلى الله عليه وآله سورة «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى» فلم يسجد. وقد مضى في آخر «الأعراف»<sup>(٧)</sup> القول في هذا، والحمد لله.

(١) النكت والعيون ٣٨٩/٥.

(٢) الوسيط ١٩٢/٤.

(٣) أخرجه عنه ابن مردويه كما في الدر المنثور ١٢١/٦، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٦٢/٨، وعزاه لمقاتل.

(٤) في صحيحه (١٠٧١).

(٥) البخاري (١٠٧٠)، ومسلم (٥٧٦)، وهو عند أحمد (٣٦٨٢).

(٦) كذا صرّح به بعض رواة الحديث كما في البخاري (٤٨٦٣)، وقيل هو: الوليد بن المغيرة. وقيل هو: سعيد بن العاص بن أمية. فتح الباري ٦١٥/٨.

(٧) ٤٣٦/٩، والحديث عند البخاري (١٠٧٢)، ومسلم (٥٧٧)، وأحمد (٢١٥٩١).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطُؤُا عَنِ  
الْمُوعَىٰ ۝٣ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦  
وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ  
عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معنى «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ»: «وَالثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ مَعَ الْفَجْرِ»<sup>(١)</sup>. والعرب تسمي الثُّرَيَّا نجماً<sup>(٢)</sup> وإن كانت في العدد نجوماً، يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة، وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم<sup>(٣)</sup>.

وفي «الشفا»<sup>(٤)</sup> للقاضي عياض: أن النبي ﷺ كان يرى في الثُّرَيَّا أحدَ عشر نجماً. وعن مجاهد أيضاً أن المعنى: والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل نجوماً. وقاله الفراء<sup>(٥)</sup>. وعنه أيضاً: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب<sup>(٦)</sup>. وهو قول الحسن<sup>(٧)</sup> قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع، كقول الراعي:

(١) أخرجه عنهما الطبري ٥/٢٢، وابن أبي حاتم ٣٣١٨/١٠ (١٨٦٩٣)، وقول مجاهد في تفسيره ٦٢٧/٢، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢٥٠/٢.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٧.

(٣) زاد المسير ٦٢/٨.

(٤) ١٦٤/١.

(٥) في معاني القرآن له ٩٤/٣، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٦/٢٢.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٤٤.

(٧) النكت والعيون ٥/٣٨٩.

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ      سَرِيعَ بِأَيْدِي الْآكِلِينَ جُمُودَهَا<sup>(١)</sup>  
وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَحْسَنُ النَّجْمِ فِي السَّمَاءِ الثُّرَيَّا      وَالْثُّرَيَّا فِي الْأَرْضِ زَيْنُ النَّسَاءِ<sup>(٢)</sup>

وقال الحسن أيضاً: المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة. وقال السُّدِّيُّ:  
إِنَّ النِّجْمَ هَهُنَا الزُّهُرَةُ؛ لِأَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا.

وقيل: المراد به النجوم التي تُرْجَمَ بها الشياطين، وسببه أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ  
بِعَثَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا كَثُرَ انْقِضَاضُ الْكَوَاكِبِ قَبْلَ مَوْلَدِهِ، فَذُعِرَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ مِنْهَا،  
وَفَزَعُوا إِلَى كَاهِنٍ كَانَ لَهُمْ ضَرِيرًا، كَانَ يُخْبِرُهُمْ بِالْحَوَادِثِ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَقَالَ: انظروا  
البروج الاثني عشر، فإن انقضت منها شيء فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقض منها شيء  
فسيحدث في الدنيا أمرٌ عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُوَ  
الْأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي اسْتَشَعَرُوهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى» أَي: ذَلِكَ النِّجْمُ  
الَّذِي هَوَى هُوَ لِهَذِهِ النُّبُوَّةِ الَّتِي حَدِثَتْ<sup>(٣)</sup>. وقيل: النجم هنا هو النبت الذي ليس له  
ساق<sup>(٤)</sup>.

و«هَوَى» أَي: سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ<sup>(٥)</sup>. وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ﷺ:  
«وَالنَّجْمِ» يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، «إِذَا هَوَى» إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ<sup>(٦)</sup>. وعن عروة

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٣٥، والبيت للراعي النميري عبید بن حصين، وهو في ديوانه ص ٩٢.  
قال الزجاج في معاني القرآن ٥/٦٩ بعد أن أورد البيت: يصف قدرًا كثيرة الدسم، ومعنى: تعدُّ النجم.  
أَي: مِنْ صَفَاءِ دَسْمِهَا تَرَى النُّجُومَ فِيهِ، وَالْمُسْتَحِيرَةُ: الْقَدْرُ، فَقَالَ: يَجْمَدُ عَلَى الْأَيْدِي الدَّسْمَ لِمَنْ  
كَثُرَتْ.

(٢) لم نقف عليه في ديوانه، وهو في النكت والعيون ٥/٣٨٩.

(٣) النكت والعيون ٥/٣٨٩-٣٩٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٤٤ وعزاه إلى الأخفش.

(٥) الكشاف ٤/٢٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٤٤-٢٤٥.

ابن الزبير رضي الله عنهما أَنَّ عْتِيَةَ<sup>(١)</sup> بَنَ أَبِي لَهَبٍ وَكَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ: لَا تَيْنَنَّ مُحَمَّدًا فَلَاؤُذَيْنَهُ، فَأَنَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هُوَ كَافِرٌ بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، وَبِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى. ثُمَّ تَفَلَّ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنَتَهُ وَطَلَّقَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ» وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ حَاضِرًا فَوَجِمَ لَهَا وَقَالَ: مَا كَانَ أَغْنَاكَ يَا بِنَّ أَخِي عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، فَرَجَعَ عْتِيَةُ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبِرَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى الشَّامِ، فَنَزَلُوا مَنْزِلًا، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ رَاهِبٌ مِنَ الدَّيْرِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذِهِ أَرْضٌ مُسْبِعَةٌ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ لِأَصْحَابِهِ: أَغِيثُونَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ! فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى ابْنِي مِنْ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ. فَجَمَعُوا جِمَالَهُمْ وَأَنَاخَوْهَا حَوْلَهُمْ، وَأَحْدَقُوا بَعْتِيَةَ، فَجَاءَ الْأَسَدُ يَتَشَمَّمُ وَجُوهَهُمْ حَتَّى ضَرَبَ عْتِيَةَ فَقَتَلَهُ، وَقَالَ حَسَانٌ:

مَنْ يَرْجِعِ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ      فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ<sup>(٢)</sup>

وَأَصْلُ النَّجْمِ: الطَّلُوعُ، يُقَالُ: نَجِمَ السَّنُّ، وَنَجَمَ فَلَانٌ بِلَادَ كَذَا، أَي: خَرَجَ عَلَى السُّلْطَانِ.

وَالهُوِيُّ: النُّزُولُ وَالسَّقُوطُ، يُقَالُ: هَوَى يَهْوِي هُويًا، مِثْلَ مَضَى يَمْضِي مُضِيًا<sup>(٣)</sup>، قَالَ زَهِيرٌ:

(١) فِي النُّسخِ: عْتِيَةُ. وَكَذَا فِي الْمَوَاضِعِ الْآتِيَةِ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ تَصْحِيفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ لِلْعَسْكَرِيِّ ٧٠٨/٢، وَالرُّوضِ الْأَنْفِ لِلسَّهْلِيِّ ٦٨/٣، وَبَعْضُ مَوَادِّ التَّخْرِيجِ.

(٢) الْكِشَافُ ٢٧/٤-٢٨، وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣٨١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، ابْنِ عَثْمَانَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالدُّوَلَابِيِّ فِي الذَّرِيَةِ الطَّاهِرَةِ (٧٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَعَثْمَانَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ بِنَحْوِهِ، مَعَ ذِكْرِ قَصِيدَةٍ مَطْوَلَةٍ لِحَسَانٍ وَفِيهَا الْبَيْتُ الْآتِيُّ الذِّكْرُ، وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٥٣٩/٢ مِنْ طَرِيقِ أَبِي نُوفَلٍ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ .. فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ مُخْتَصِرًا، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ قَانِعٍ فِي مَعْجَمِ الصَّحَابَةِ ٢٠٧/٣، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣٨٠)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ ٣٨/٣٠٢ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ هَبَارِ بْنِ أَسْوَدٍ قَالَ: كَانَ أَبُو لَهَبٍ وَابْنُهُ عْتِيَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ تَجْهَرُ إِلَى الشَّامِ، فَتَجَهَّزَتْ مَعَهُمَا فَقَالَ ابْنُهُ عْتِيَةُ: وَاللَّهِ لَأَنْطَلِقَنَّ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَوْذَيْنَهُ... الْخَبْرُ بِنَحْوِهِ دُونَ ذِكْرِ الْبَيْتِ.

(٣) الصَّحَاحُ (نَجْمٌ) وَ (هُوِيٌّ) بِنَحْوِهِ.

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ وَهِيَ تَهْوِي هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعاً وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيًّا  
خَطَرْتُ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّ رَاكِ وَهَنَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا<sup>(٢)</sup>

الأصمعي: هَوَى - بالفتح - يَهْوِي هَوِيًّا، أي: سقط إلى أسفل. قال: وكذلك انهوى في السير إذا مضى فيه، وهَوَى وانهوى فيه لغتان بمعنى، وقد جمعهما الشاعر في قوله:

وَكَمْ مَنَزَلٍ لَوْلَايَ طِخْتِ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مَنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مِنْهَوِي<sup>(٣)</sup>  
ويقال في الحُبِّ: هَوِيَ - بالكسر - يَهْوَى هَوَى، أي: أحب.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جواب القسم، أي: ما ضلَّ محمد ﷺ عن الحقِّ وما حادَّ عنه<sup>(٤)</sup>. ﴿وَمَا عَوَى الْعَيُّ﴾ ضدُّ الرشد، أي: ما صار غاويًا<sup>(٥)</sup>. وقيل: أي: ما تكلمَّ بالباطل<sup>(٦)</sup>. وقيل: أي: ما خاب مما طلب، والعَيُّ: الخيبة، قال الشاعر:

فَمَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَا لَا يَعْدَمُ عَلَى الْعَيِّ لَائِمًا<sup>(٧)</sup>

(١) شرح ديوان زهير ص ٦٧، وفيه: شَجَّ: علا. بها: بالأُتُن، والأماعز: المكان الغليظ الكثير الحصى. فشبه هويَّ الحبل إذا انقطع بهويَّ الأُتُن.

(٢) القائل مجنون ليلي قيس بن الملوِّح، والبيتان في ديوانه ص ٢٩١، والبلاكت والقاع: موضعان من المدينة. معجم البلدان ١/٤٧٨ و ٤/٢٩٨ ونسب البيتين فيه إلى كثير.

(٣) الصحاح (هوي) وما بعده منه، والبيت ليزيد بن الحكم، وهو في الكامل ٣/١٢٧٧، وعيون الأخبار ٣/٨٣، وقُلَّة كل شيء: أعلاه. والنَّيْق: أرفع موضع في الجبل. لسان العرب (قلل) و (نوق).

(٤) الوسيط ٤/١٩٢-١٩٣.

(٥) الكشف ٤/٢٨.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٤٥.

(٧) النكت والعيون ٥/٣٩٠، وما بعده منه، والبيت للمرقش، وسلف ١٣/٤٧٧.

أي: مَنْ خَاب فِي طَلْبِهِ لَامَهُ النَّاسُ.

ثم يجوز أن يكون هذا إخباراً عما بعد الوحي. ويجوز أن يكون إخباراً عن أحواله على التعميم، أي: كان أبداً موحداً لله. وهو الصحيح على ما بيّناه في «الشورى»<sup>(١)</sup> عند قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الآية: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾:

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن هواه، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه<sup>(٢)</sup>. وقيل: «عَنِ الْهَوَىٰ» أي: بالهوى، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup> كقوله تعالى: ﴿فَسَتَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٢٥] أي: فاسأل عنه. النحاس<sup>(٤)</sup>: قول قتادة أولى، وتكون «عن» على بابها، أي: ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل؛ لأن بعده: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

الثانية: قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله ﷺ الاجتهاد في الحوادث<sup>(٥)</sup>. وفيها أيضاً دلالة على أنّ السنة كالوحي المنزل في العمل. وقد تقدّم في مقدّمة الكتاب<sup>(٦)</sup> حديث المقدم بن معدي كرب في ذلك، والحمد لله.

قال السجستاني: إن شئت أبدلت «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» من «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ». قال ابن الأنباري<sup>(٧)</sup>: وهذا غلط؛ لأن «إِنْ» الخفيفة لا تكون مبدلة من «ما»، الدليل على هذا أنك لا تقول: واللّه ما قمّت، إنّ أنا لقاعد.

(١) ٥٠٩/١٨ - ٥١٠.

(٢) أخرجه عنه الطبري ٨/٢٢.

(٣) في مجاز القرآن له ٢٣٦/٢.

(٤) في معاني القرآن له ٤/٢٦٥ بنحوه.

(٥) أحكام القرآن للهراسي ٤/٣٩٣.

(٦) ٦٥/١.

(٧) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/٩١٠، وما قبله منه.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ يعني: جبريل عليه السلام، في قول سائر المفسرين<sup>(١)</sup> سوى الحسن، فإنه قال: هو الله عزَّ وجلَّ<sup>(٢)</sup>. ويكون قوله تعالى: ﴿ذُو مِرْوَى﴾ على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه: ذو قوَّة، والقوَّة من صفات الله تعالى، وأصله من شدَّة قتل الجبل<sup>(٣)</sup>، كأنه استمرَّ به القتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحلُّ.

ثم قال: ﴿فَأَسْتَوَى﴾ يعني: الله عزَّ وجلَّ، أي: استوى على العرش. روي معناه عن الحسن<sup>(٤)</sup>. وقال الربيع بن أنس والفرَّاء: ﴿فَأَسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ أي: استوى جبريل ومحمَّد عليهما الصلاة والسلام<sup>(٥)</sup>. وهذا على العطف على المضمرة المرفوعة بـ «هو». وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولون: استوى هو وفلان، وقلَّما يقولون: استوى وفلان<sup>(٦)</sup>. وأنشد الفرَّاء:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُوْدُهُ      وَلَا يَسْتَوِي وَالْخِرْوَعُ الْمُتَقَصِّفُ<sup>(٧)</sup>

أي: لا يستوي هو والخِرْوَع، ونظير هذا: ﴿أَوْدَا كُنَّا تَرَبًا وَأَبَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧] والمعنى: أئذا كُنَّا تراباً نحن وأبائنا. ومعنى الآية: استوى جبريل هو ومحمَّد عليهما السلام ليلة الإسراء بالأفق الأعلى.

(١) النكت والعيون ٣٩١/٥.

(٢) المحرر الوجيز ١٩٦/٥.

(٣) المحرر الوجيز ١٩٦/٥-١٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ١٩٧/٥.

(٥) أخرجه عن الربيع الطبري ١١/٢٢، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٨)، وقول الفرَّاء في معاني القرآن له ٩٥/٣.

(٦) تفسير الطبري ١١/٢٢-١٢.

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٩٥/٣، والبيت لجبرير، وهو في شرح ديوانه ٩٣٢/٢، والنبع: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي. والخروع: كل نبات قصيف ريان من شجر أو عنب. لسان العرب (نبع) و(خرع). ووقع عند الفرَّاء: يخلق، بدل: يصلب.

وأجاز<sup>(١)</sup> العطف على الضمير؛ لثلاثا يتكرّر. وأنكر ذلك الزّجاج<sup>(٢)</sup> إلا في ضرورة الشعر، وقيل: المعنى فاستوى جبريل بالأفق الأعلى، وهو أجد. وإذا كان المستوي جبريل فمعنى «ذو مِرَّة» في وَضْفه: ذو منطق حَسَن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حَسَن<sup>(٣)</sup>.

وقيل: معناه: ذو صِحَّة جسم، وسلامة من الآفات، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ ولا لذي مِرَّةٍ سويٍّ»<sup>(٤)</sup>. وقال امرؤ القيس:

كُنْتُ فِيهِمْ أبدأً إذا حيلة مُحَكِّمِ المِرَّةِ مَأْمُونِ العُقْدِ<sup>(٥)</sup>

وقد قيل: «ذو مِرَّة»: ذو قوَّة. قال الكلبي: وكان من شدَّة جبريل عليه السلام: أنَّه اقتلع مدائن قوم لوطٍ من الأرض السفلى، فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء نَبْحَ كلابهم وصياح ديكهم، ثم قلبها. وكان من شدَّته أيضاً: أنَّه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدَّسة، فنفحه بجناحه نفحةً ألقاه بأقصى جبل في الهند. وكان من شدَّته: صيحته بشمود في عددهم وكثرته، فأصبحوا جائمين خامدين. وكان من شدَّته: هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطَّرف<sup>(٦)</sup>.

وقال قُطْرُب: تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل: ذو مِرَّة. قال

الشاعر:

(١) أي: الفراء في معاني القرآن له ٩٥/٣.

(٢) في معاني القرآن له ٧٠/٥ وما بعده منه.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٤٥، وأخرجه عنهما الطبري ١٠/٢٢.

(٤) تفسير الطبري ١١/٢٢، والحديث سلف ١٠/٢٥٣.

(٥) كذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٥/٣٩١، والبيت في ديوان امرئ القيس ص ٢١٩ إلا أن صدره هكذا:

ولبيبٍ أيد ذو حيلة

قال شارحه: الأيد: الشديد. ومأمون العُقْد: يؤمن انحلالها.

(٦) الكشف ٤/٢٨ دون عزو، وخبر تعذيب قوم لوط في عرائس المجالس ص ١٠٧.

قد كنتُ قبلَ لقائِكُمْ ذا مِرَّةٍ عندِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ<sup>(١)</sup>  
وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله: أن الله ائتمنه على وحيه إلى جميع رسله.

قال الجوهري<sup>(٢)</sup>: والمِرَّة: إحدى الطبائع الأربع، والمِرَّة: القوَّة، وشدَّة العقل أيضاً. ورجل مريِّر: أي: قويُّ ذو مِرَّة. قال:

تَرى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فتزدرِبه وَحَشَوُثِيَايَه أسدٌ مَرِيرٌ<sup>(٣)</sup>  
وقال لقيط:

حتى استمررت على شزير مريِّرته مُرُّ العزِيمة لا رتاً ولا ضرعاً<sup>(٤)</sup>  
وقال مجاهد وقتادة: «ذو مِرَّة»: ذو قوَّة، ومنه قول خُفَّاف بن نُدْبَة:

إنِّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ فاستبقيني فيمَا يَنُوبُ مِنَ الخُطُوبِ صَلِيبٌ<sup>(٥)</sup>  
فالقوَّة تكون من صفة الله عزَّ وجلَّ، ومن صفة المخلوق.

«فاستوى» يعني: جبريل على ما بيَّنا، أي: ارتفع وعلا إلى مكانه في السماء بعد أن علَّم محمَّداً ﷺ، قاله سعيد بن المسيَّب وابن جبير<sup>(٦)</sup>.

وقيل: «فاستوى» أي: قام في صورته التي خَلَقَه اللهُ تعالى عليها؛ لأنه كان يأتي

(١) سلف ١٢/١٩١.

(٢) في الصحاح (مرر).

(٣) القائل العباس بن مرداس، وهو في الحماسة البصرية ٧/٢، ورواية عجزه هكذا:

وفي أنوابه أسد مزير

والمزير: الشديد القلب القوي. اللسان (مزر).

(٤) الكامل ٦٨٢/٢، والرث: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء. والضرع: الصغير السن الضعيف.

اللسان (رتت) و(ضرع).

(٥) النكت والعيون ٣٩١/٥، وقول مجاهد في تفسيره ٦٢٧/٢، وأخرجه عنه الطبري ١٠/٢٢. والبيت

في الأصمعيات ص ٢٧، وورد فيه هكذا:

فتعلَّمي أني امرؤٌ ذو مِرَّةٍ فيمَا لَمَّ مِنَ الخُطُوبِ صَلِيبٌ

(٦) النكت والعيون ٣٩٢/٥ وعزاه إلى ابن جبير.

إلى النبي ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يُريَه نفسه التي جَبَلَه الله عليها، فأراه نفسه مرّتين، مرّة في الأرض، ومرّة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبي ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسدّ الأرض إلى المغرب، فخرّ النبي ﷺ مغشياً عليه، فنزل إليه في صورة الآدميين وضمّه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، فلما أفاق النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما ظننت أنّ الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة». فقال: يا محمّد إنّما نشرتُ جناحين من أجنحتي، وإنّ لي ستّ مئة جناح، سعة كلّ جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: «إنّ هذا لعظيم» فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيلَ له ستّ مئة جناح، كلّ جناح منها قدر جميع أجنحتي، وإنّه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع. يعني: العصفور الصغير، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأَفُقِ اللَّيْلِينَ﴾ وأما في السماء فعند سِدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمّداً ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقول ثالث أنّ معنى «فَاسْتَوَى»: أي: استوى القرآن في صدره. وفيه على هذا وجهان: أحدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه. الثاني: في صدر محمّد ﷺ حين نزل عليه. وقول رابع أنّ معنى «فَاسْتَوَى»: فاعتدل، يعني: محمّداً ﷺ. وفيه على هذا وجهان: أحدهما: فاعتدل في قوّته. الثاني: في رسالته. ذكرهما الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قلت: وعلى الأوّل يكون تمام الكلام «ذو مرّة»، وعلى الثاني «شديد القوى».

وقول خامس أنّ معناه: فارتفع. وفيه على هذا وجهان: أحدهما: أنّه جبريل عليه

(١) تفسير البغوي ٤/٢٤٥ دون قوله: فلما أفاق النبي ﷺ... إلى قوله: يعني العصفور الصغير. حيث أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٢١) عن ابن شهاب مرسلأ بنحوه.

ورؤية النبي ﷺ جبريل مرتين أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها.

وقول جبريل: إن لي ست مئة جناح. أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) عن ابن مسعود ﷺ.

(٢) في النكت والعيون ٥/٣٩٢.

السلام ارتفع إلى مكانه على ما ذكرنا آنفاً. الثاني: أنه النبي ﷺ ارتفع بالمعراج<sup>(١)</sup>. وقول سادس: «فَاسْتَوَى»: يعني الله عزَّ وجلَّ، أي: استوى على العرش، على قول الحسن<sup>(٢)</sup>. وقد مضى القول فيه في «الأعراف»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ جملة في موضع الحال، والمعنى: فاستوى عالياً<sup>(٤)</sup>، أي: استوى جبريل عالياً على صورته، ولم يكن النبي ﷺ قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا.

والأفق: ناحية السماء، وجمعه: آفاق<sup>(٥)</sup>. وقال قتادة: هو الموضع الذي تأتي منه الشمس<sup>(٦)</sup>. وكذا قال سفيان: هو الموضع الذي تطلع منه الشمس، ونحوه عن مجاهد. ويقال: أفق وأفق، مثل عُسر وعُسْر. وقد مضى في «حم السجدة»<sup>(٧)</sup>. وفرس أفق - بالضم - أي: رائع، وكذلك الأنثى، قال الشاعر:

أرْجُلُ لِمَتِي وَأَجْرُ ذَيْلِي      وَتَحْمِيلُ شِغَّتِي أَفُقُ كُمَيْتٍ<sup>(٨)</sup>

وقيل: «وهو» أي: النبي ﷺ «بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى» يعني: ليلة الإسراء، وهذا ضعيف، لأنه يقال: استوى هو وفلان، ولا يقال: استوى وفلان، إلا في ضرورة الشعر.

والصحيح استوى جبريل عليه السلام، وجبريلُ بالأفق الأعلى على صورته الأصلية؛ لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحبَّ النبي ﷺ

(١) النكت والعيون ٣٩٢/٥.

(٢) المحرر الوجيز ١٩٧/٥.

(٣) ٢٣٨/٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٤.

(٥) الصحاح (أفق).

(٦) النكت والعيون ٣٩٢/٥ عن قتادة ومجاهد، وأخرجه الطبري ١٣/٢٢ عن قتادة بنحوه.

(٧) عند الآية (٥٣).

(٨) الصحاح (أفق)، والبيت لعمرو بن قعاس بن عبد يغوث المرادي، وهو في منتهى الطلب لابن ميمون ٢٤٥/٨، وفيه: ذَمَّتِي، بدل: لَمَّتِي، واللَمَّة: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة. والشكَّة: السلاح. لسان العرب (لمم) و (شكك).

أن يراه على صورته الحقيقيَّة، فاستوى في أفق المشرق، فملاً الأفق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أي: دنا جبريلُ بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض «فَتَدَلَّى» فنزل على النبي ﷺ بالوحي<sup>(١)</sup>. المعنى: أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمته ما رأى، وهاله ذلك، ردَّه الله إلى صورة آدميٍّ حين قُرِبَ من النبي ﷺ بالوحي، وذلك قوله تعالى: «فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي» يعني أوحى الله إلى جبريلَ، وكان جبريل «قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ» قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» أنَّ معناه: أنَّ الله تبارك وتعالى «دَنَا» من محمَّد ﷺ «فَتَدَلَّى»<sup>(٣)</sup>. وروى نحوه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. والمعنى: دنا منه أمره وحُكْمُه<sup>(٥)</sup>. وأصل التدلَّى: النزول إلى الشيء حتى يَقْرُبَ منه، فوضِعَ موضعَ القُرب، قال لبيد:

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلاً وَعَلَى الْأَرْضِ غِيَابَاتِ الطَّفَلِ<sup>(٦)</sup>  
 وذهب الفراء<sup>(٧)</sup> إلى أن الفاء في «فَتَدَلَّى» بمعنى الواو، والتقدير: ثم تدلَّى جبريل عليه السلام ودنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً، أو كالواحد، قدَّمت أيُّهما شئت، فقلت: فدنا فقرب وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني؛ لأنَّ

(١) الوسيط ٤/١٩٣.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٤٦ عن ابن عباس والحسن وقتادة، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٥٠، ومن طريقه أبو الشيخ في العظمة (٣٦٩)، والطبري ٢٢/١٤ عن الحسن وقتادة، والطبري ٢٢/١٤، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٨) عن الربيع.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/١٤، والطبراني في الكبير (١١٣٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، وينظر كلام ابن حجر حول الحديث في فتح الباري ١٣/٤٨٣ وما بعدها.

(٥) الشفا ١/٣٩٤.

(٦) شرح ديوان لبيد ص ١٨٩، قال شارحه: الغيابة: ظل الشمس، أو كل شيء أظل الإنسان. والطفل: حين نهَمُ الشمس بالوجوب وتدنو للغروب.

(٧) في معاني القرآن له ٣/٩٥-٩٦.

الشتم والإساءة شيء واحد. وكذلك قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] المعنى - والله أعلم - : انشقَّ القمر واقتربت الساعة.

وقال الجرجاني: في الكلام تقديم وتأخير، أي: تدلَّى فدنا؛ لأنَّ التدلِّي سبب الدنو.

وقال ابن الأنباري: ثم تدلَّى جبريلُ، أي: نزل من السماء فدنا من محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن عباس: تدلَّى الرفرفُ لمحمد ﷺ ليلة المعراج، فجلس عليه، ثم رُفِع فدنا من ربِّه<sup>(٢)</sup>، وسيأتي.

ومن قال: المعنى: فاستوى جبريلُ ومحمد بالأفق الأعلى، قد يقول: ثم دنا محمد من ربِّه دنوً كرامةً، فتدلَّى، أي: هَوَى للسجود. وهذا قول الضحاك. قال القشيري: وقيل على هذا تدلَّى، أي: تدلَّلَ، كقولك: تَطَّنَى، بمعنى تَطَنَّ. وهذا بعيد؛ لأنَّ الدلال غيرُ مرضيٍّ في صفة العبودية.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: كان محمد من ربِّه أو من جبريل «قَابَ قَوْسَيْنِ» أي: قَدَّرَ قوسين عربيَّتين<sup>(٣)</sup>. قاله ابن عباس وعطاء<sup>(٤)</sup> والفرَّاء<sup>(٥)</sup>. الزمخشري<sup>(٦)</sup>: فإن قلت: كيف تقدير قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ»؟ قلت: تقديره:

(١) النكت والعيون ٣٩٣/٥.

(٢) الشفا ٣٩٤/١، والرفرف: البساط. النهاية ٢٤٣/٢.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٨.

(٤) تفسير البغوي ٢٤٦/٤.

(٥) في معاني القرآن له ٩٥/٣.

(٦) الكشاف ٢٩/٤، والبيت الآتي نسب للأسود بن يعفر، وهو في شرح المفصل لابن يعيش ٣١/٣. وللكلبة هيرة بن عبد منان العُرَني، وهو في المفضليات ص ٣٢، ورواية صدره:

فأدرك إبقاء العرادة ظلَّعها

قال محققه: المبقية من الخيل: التي تبقي بعض جريها تدخره. الظلع: العرج والغمز في المشي. يقول: إن شرب العرادة أضعف جريها، فغلب ظلَّعها إبقاءها، فقاتها حزيمة وهو قيد إصبع منها.

فكان مقدارُ مسافة قُربه مثلَ قاب قوسين ، فحذفت هذه المضافات ، كما قال أبو عليّ في قوله :

وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إِضْبَعًا

أي : ذا مقدار مسافة إضبع . «أَوْ أُذْنِي» أي : على تقديركم ، كقوله تعالى : ﴿أَوْ زَيْدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]. وفي «الصحاح»<sup>(١)</sup> : وتقول : بينهما قاب قوس ، وقيب قوس ، وقاد قوس ، وقيد قوس ، أي : قدر قوس .

وقرأ زيد بن علي : «قَادَ» ، وقرئ : «قَيْدَ» و «قَدَرَ» . ذكره الزمخشري<sup>(٢)</sup> .

والقابُ : ما بين المَقْبِضِ والسَّيَةِ . ولكل قوس قابان . وقال بعضهم في قوله تعالى : «قَابَ قَوْسَيْنِ» : أراد قابي قوس ، فقلبه<sup>(٣)</sup> . وفي الحديث : «وَلَقَابِ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَوْضِعَ قِدِّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» والقِدُّ : السُّوطُ<sup>(٤)</sup> . وفي «الصحیح» عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : «وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٥)</sup> . وَإِنَّمَا ضُرِبَ الْمَثَلُ بِالْقَوْسِ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَخْتَلِفُ فِي الْقَابِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال القاضي عياض<sup>(٦)</sup> : اعلم أنّ ما وقع من إضافة الدنو والقرب من الله ، أو إلى الله ، فليس بدنو مكان ، ولا قرب مدى ، وإنما دنو النبي ﷺ من ربه وقربه منه ، إبانة عظيم منزلته ، وتشريف رتبته ، وإشراق أنوار معرفته ، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته . ومن الله تعالى له : مبرّة وتأنيس وبسط وإكرام .

(١) مادة (قوب).

(٢) في الكشاف ٢٨/٤ .

(٣) الصحاح (قوب) ، والسّيّة : ما عطف من طرفي القوس . الصحاح (سيا) .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٨ ، والكشاف ٢٨/٤ .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (١٠٢٧٠) ، وهو عند البخاري (٢٧٩٣) بلفظ : لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب .

(٦) في الشفا ١/٣٩٦-٣٩٧ ، وفيه : وشريف ، بدل : وتشريف .

ويتأوّل فيه ما يتأوّل في قوله عليه السلام: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup> على أحد الوجوه: نزول إجمال وقبول إحسان.<sup>(٢)</sup> قال القاضي: وقوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» فمن جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل، كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحلّ، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمّد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار التحقّي، وإنافة المنزلة والقرب من الله، ويتأوّل فيه ما يتأوّل في قوله عليه السلام: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتَهُ هَرُولَةً» قرب بالإجابة والقبول، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول<sup>(٣)</sup>.

وقد قيل: «ثُمَّ دَنَا» جبريل من ربه «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قاله مجاهد<sup>(٤)</sup>. ويدلّ عليه ما روي في الحديث: «إِنَّ أَقْرَبَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ اللَّهِ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٥)</sup>. وقيل: «أو» بمعنى الواو، أي: قاب قوسين وأدنى. وقيل: بمعنى «بل»، أي: بل أدنى<sup>(٦)</sup>.

وقال سعيد بن المسيّب: القاب: صدر القوس العربية حيث يشدّ عليه السير الذي يتنكّبه صاحبه، ولكلّ قوس قاب واحد. فأخبر أنّ جبريل قُرب من محمّد ﷺ كقُرب قاب قوسين.

وقال سعيد بن جبیر وعطاء وأبو إسحاق الهمداني وأبو وائل شقيق بن سلمة: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أي: قدر ذراعين، والقوس: الذراع يُقاس بها كلُّ شيء<sup>(٧)</sup>، وهي

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، وهو عند أحمد (٧٥٩٢) عن أبي هريرة ﷺ.  
(٢) الصواب إثبات صفة الدنو والقرب والنزول لله تعالى بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل على ما يليق بجلال الله وعظمته.

(٣) الشفا ١/٣٩٦-٣٩٧، والحديث سلف ٧/٢٩٠.

(٤) في تفسيره ٢/٦٢٧، وأخرجه عنه الطبري ١٩/٢٢.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٧٧)، وفي إسناده الأحوص بن حكيم، وهو ضعيف. تهذيب التهذيب ١٠٠-٩٩/١.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/٢٨٩، وينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١٤-٤١٥.

لغةً بعض الحجازيين<sup>(١)</sup>. وقيل: هي لغة أزد سُئوة أيضاً. وقال الكسائي: قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» أراد: قوساً واحداً، كقول الشاعر:

وَمَهْمَهَيْنِ قَذْفَيْنِ مَرَّتَيْنِ      قَطَعْتُهُ بِالسَّمْتِ لَا بِالسَّمْتَيْنِ<sup>(٢)</sup>  
أراد: مَهْمَهَا واحداً.

والقوس تذكر وتؤنث، فمن أنث قال في تصغيرها: قويسة، ومن ذكر قال: قويس، وفي المثل: هو من خير قويس سهماً. والجمع قسي وقسي وأقواس وقياس، وأنشد أبو عبيدة:

وَوَتَرَ الْأَسَاوِرَ الْقِيَاسَا<sup>(٣)</sup>

والقوس أيضاً: بقية الثمر في الجلة، أي: الوعاء. والقوس: برج في السماء. فأما القوس بالضم: فصومعة الراهب، قال الشاعر وذكر امرأة:

لَا سَتَقْتَنِّي وَذَا الْمَسْحِينِ فِي الْقَوْسِ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أوحى إليه<sup>(٥)</sup>. وتقدم

(١) المحرر الوجيز ١٩٨/٥ وحكاه عن الثعلبي.

(٢) هكذا ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٣٠٢/٨ ولم ينسبه، وفيه: بالأم، بدل: بالسمت. وذكره الزجاجي في الجمل ص ٣١٣، والجاحظ في البيان والتبيين ١٥٦/١ ولم ينسبه، ونسبه ابن السيد البطليوسي في الحلل ص ٣٦٤ إلى خطام المجاشعي، وجاءت رواية الرجز في البيان والتبيين هكذا:

وَمَهْمَهَيْنِ قَذْفَيْنِ مَرَّتَيْنِ      جِبْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ  
ظَهْرَاهُمَا مِثْلَ ظُهُورِ التَّرْسَيْنِ      قَطَعْتَهُ بِالْأَمِّ لَا بِالسَّمْتَيْنِ  
وقول الراجز:

ظَهْرَاهُمَا مِثْلَ ظُهُورِ التَّرْسَيْنِ

ذكره سيبويه في الكتاب ٤٨/٢ ونسبه لخطام، و ٦٢٢/٣ ونسبه لهميان بن قحافة. والمهمة: الفقر المخوف. والقذف: ما ارتفع من الأرض. والمرت: التي لا ماء بها ولا نبات فيها. والظهر: ما ارتفع من الأرض، يشبهه بظهر الترس في ارتفاعه. الحلل ص ٣٦٥. والسمت: الطريق. لسان العرب (سمت). (٣) الصحاح (قوس) وما بعده منه، والمثل في جبهة الأمثال للعسكري ٤٢٠/١ وهو من أرجوزة لخالد ابن معاوية، وقصته ثمة.

(٤) القائل جرير، وهو في ديوانه ١٢٥/١، وصدده: لا وصل إذا صرمت هند ولو وقفت.

(٥) الكشاف ٢٩/٤.

معنى الوحي<sup>(١)</sup>، وهو إلقاء الشيء بسرعة، ومنه: «الوحي الوحي». والمعنى: فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى. وقيل: المعنى: «فأوحى إلى عبده» جبريل عليه السلام «ما أوحى». وقيل: المعنى: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى إليه ربّه<sup>(٢)</sup>. قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة<sup>(٣)</sup>. قال قتادة: أوحى الله إلى جبريل، وأوحى جبريل إلى محمد<sup>(٤)</sup>.

ثم قيل: هذا الوحي هل هو مبهم، لا نطلع عليه نحن وتعبّدنا بالإيمان به على الجملة، أو هو معلوم مفسّر؟ قولان، وبالثاني قال سعيد بن جبیر، قال: أوحى الله إلى محمد: ألم أجذك يتيماً فأويتك! ألم أجذك ضالاً فهديتك! ألم أجذك عائلاً فأغنيتك! ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(٥)</sup> [الشرح: ١-٤]. وقيل: أوحى الله إليه أنّ الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمّتك<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ١١ ﴿أَتَمْتَرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ١٥ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ ١٦ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ١٨ ﴿

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي: لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج، وذلك أنّ الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربّه تعالى، وجعل الله

(١) ١٣١/٥، وسلف تخريج الحديث هناك.

(٢) زاد المسير ٦٧/٨.

(٣) أخرجه عن الربيع: الطبري ٢١/٢٢، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٨)، وعن ابن زيد وقتادة: الطبري ٢١/٢٢، وعن الحسن: أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٦٣)، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٩٣/٥.

(٤) الوسيط ١٩٥/٤.

(٥) تفسير البغوي ٢٤٦/٤ بنحوه.

(٦) لطائف الإشارات ٤٨٢/٣.

تلك رؤية. وقيل: كانت رؤية حقيقة بالبصر<sup>(١)</sup>. والأوّل مروى عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وفي «صحيح مسلم»<sup>(٣)</sup> أنّه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذرّ وجماعة من الصحابة<sup>(٤)</sup>. والثاني قول أنس وجماعة<sup>(٥)</sup>. وروى عن ابن عباس أيضاً أنّه قال: أتعجبون أن تكون الخُلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمّد ﷺ<sup>(٦)</sup>. وروى عن ابن عباس أيضاً أنّه قال: أمّا نحن بني هاشم فنقول: إنّ محمّداً رأى ربّه مرّتين<sup>(٧)</sup>. وقد مضى القول في هذا في «الأنعام»<sup>(٨)</sup> عند قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وروى محمّد بن كعب قال: قلنا: يا رسول الله صلى الله عليك، رأيت ربك؟ قال: «رأيتُه بفؤادي مرّتين» ثم قرأ: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»<sup>(٩)</sup>.

وقول ثالث: أنّه رأى جلاله وعظمته، قاله الحسن. وروى أبو العالية قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «رأيتُ نهراً، ورأيتُ وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً، لم أر غير ذلك»<sup>(١٠)</sup>. وفي «صحيح مسلم»<sup>(١١)</sup> عن أبي ذرّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه» المعنى: غلبنى من النور

(١) الوسيط ١٩٥/٤ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٨١)، والطبري ٢٢/٢٢ . قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) برقم (١٧٦)، وهو عند أحمد (١٩٥٦).

(٤) المحرر الوجيز ١٩٨/٥ ، وأخرجه عن أبي ذرّ: النسائي في الكبرى (١١٤٧٢).

(٥) الوسيط ١٩٥/٤ ونسبه إلى أنس وعكرمة والحسن.

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٧٥)، وابن خزيمة في التوحيد ص ١٩٧ ، وصحّحه ابن حجر في فتح

الباري ٦٠٨/٨ .

(٧) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨) بنحوه، وسلف ٤٨٤/٨ .

(٨) ٤٨٣/٨ .

(٩) النكت والعيون ٣٩٤/٥ وما بعده منه، وأخرجه الطبري ١٩/٢٢ عن محمد بن كعب القرظي، عن

بعض أصحاب النبي ﷺ بنحوه.

(١٠) النكت والعيون ٣٩٤/٥ ، وأخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٣٣١٨/١٠-٣٣١٩ (١٨٦٩٧) و (١٨٦٩٨).

(١١) برقم (١٧٨).

وبهرني منه ما معني من رؤيته. ودلّ على هذا الرواية الأخرى: «رأيت نوراً»<sup>(١)</sup>. وقال ابن مسعود: رأى جبريلَ على صورته مرّتين<sup>(٢)</sup>.

وقرأ هشام عن ابن عامر وأهل الشام: «مَا كَذَّبَ» بالتشديد<sup>(٣)</sup>، أي: ما كَذَّب قلبُ محمّد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدّقه. فـ «ما» مفعوله بغير حرف مقدر؛ لأنه يتعدّى مشدّداً بغير حرف. ويجوز أن تكون «ما» بمعنى «الذي» والعائد محذوف، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرأ<sup>(٤)</sup>. الباقون مخففاً، أي: ما كذب فؤادُ محمّد فيما رأى، فأسقط حرف الصفة. قال حسان رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>:

لو كنتِ صادقة الذي حدّثني لنجوتِ مَنْجَا الحارثِ بنِ هشامِ  
أي: في الذي حدّثني. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرأ. ويجوز أن يكون بمعنى «الذي»، أي: ما كذب فؤادُ محمّد رضي الله عنه الذي رأى.

قوله تعالى: ﴿أَفْتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «أَفْتَمْرُونَهُ» بفتح التاء من غير ألف<sup>(٦)</sup> على معنى: أفتجحدونه. واختاره أبو عبيد؛ لأنه قال: لم يُماروه، وإنما جحدوه. يقال: مراه حقّه، أي: جحده<sup>(٧)</sup>، ومريته أنا، قال الشاعر:

لئن هجرت أخا صدقٍ ومكرمةٍ لقد مرّيتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَا<sup>(٨)</sup>

(١) مسلم (١٧٨): (٢٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٦٤)، والطبراني في الكبير (١٠٥٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٦). وفي إسناده: إسحاق بن أبي الكهتلة، ذكره البخاري في التاريخ الكبير ١/٤٠٠-٤٠١، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٢٣٢ ولم يذكر في جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات ٤/٢٥.

(٣) السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص ٢٠٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٦٩٢-٦٩٣، والبيان لابن الأنباري ٢/٣٩٧.

(٥) ديوانه ص ٤١٩، وورد فيه هكذا:

إن كنت كاذبة الذي حدّثني فنجوت .....

(٦) السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص ٢٠٤.

(٧) الصحاح (مرا).

(٨) الكشاف ٤/٢٩ ولم ينسبه.

أي: جحدته. وقال المبرّد: يقال: مراه عن حقّه، وعلى حقه: إذا منعه منه ودفعه عنه. قال: ومثل «على» بمعنى «عن» قول بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك، أي: رضي عنك<sup>(١)</sup>.

وقرأ الأعرج ومجاهد: «أَفْتُمَرُونَهُ» بضمّ التاء من غير ألف<sup>(٢)</sup>، من أمرت، أي: تريبونه وتشكّكونه. الباقر: «أَفْتَمَارُونَهُ» بألف، أي: أتجادلونّه وتدافعونه في أنّه رأى الله، والمعنيان متداخلان؛ لأنّ مجادلتهم جحدود. وقيل: إنّ الجحدود كان دائماً منهم، وهذا جدال جديد، قالوا: صيف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن غيرنا التي في طريق الشام<sup>(٣)</sup>. على ما تقدّم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ «نَزْلَةً»: مصدر في موضع الحال، كأنّه قال: ولقد رآه نازلاً نَزْلَةً أُخْرَى<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عباس: رأى محمّد ﷺ ربّه مرّة أُخرى بقلبه<sup>(٦)</sup>. روى مسلم<sup>(٧)</sup> عن أبي العالية عنه قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»، «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» قال: رآه بفؤاده مرّتين. فقوله: «نَزْلَةً أُخْرَى» يعود إلى محمّد ﷺ؛ فإنه كان له صعود ونزول مراراً بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكلّ عَرَجَة نَزْلَةٌ<sup>(٨)</sup>. وعلى هذا قوله تعالى: «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى» أي: ومحمّد ﷺ عند سدرة المنتهى، وفي بعض تلك النزلات.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٩/٤.

(٢) البحر المحيط ١٥٩/٨، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٤٦ وعزاها إلى ابن مسعود والشعبي، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٩٩/٥ وعزاها إلى النخعي.

(٣) الوسيط ١٩٧/٤.

(٤) في سورة الإسراء، عند الآية الأولى.

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي ٦٩٣/٢.

(٦) زاد المسير ٦٨/٨، وأخرجه عنه الطبري ٣٢/٢٢، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩١٠).

(٧) في صحيحه برقم (١٧٦): (٢٨٥).

(٨) تفسير البغوي ٢٤٧/٤.

وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ» أنه جبريل. ثبت هذا أيضاً في «صحيح مسلم»<sup>(١)</sup>. وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ جَبْرِيْلَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، يَتَنَاثَرُ مِنْ رِيْشِهِ الدُّرُّ وَالْيَاقُوْتُ» ذكره المهدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ «عِنْدَ» من صلة «رَأَوْا» على ما بيّننا<sup>(٣)</sup>. والسُّدْرُ: شجر النَّبِقِ<sup>(٤)</sup>، وهي في السماء السادسة، وجاء في السماء السابعة. والحديث بهذا في «صحيح مسلم»؛ الأول: ما رواه مرة عن عبد الله قال: لما أُسِرِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ بِهِ مِنَ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قال: «إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى» قال: فَرَأَشَ مِنْ ذَهَبٍ، قال: فَأَعْطَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ، وَأَعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمَقْحَمَاتُ<sup>(٥)</sup>.

الحديث الثاني: رواه قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا رُفِعْتُ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجْرٍ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانُ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيْلُ مَا هَذَا؟ قال: أَمَّا الْبَاطِنَانِ ففِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفَرَاتُ» لفظ الدارقطني<sup>(٦)</sup>.

والنَّبِقُ، بكسر الباء: ثمر السُّدْرِ، الواحد: نَبِقَةٌ<sup>(٧)</sup>. ويقال: نَبِقُ، بفتح النون

(١) أثر ابن مسعود أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٧٦)، والطبري ٣٠/٢٢، وأبو الشيخ في العظمة (٣٥٠)، وأما أثر أبي هريرة فهو عند مسلم (١٧٥).

(٢) وأخرجه أحمد (٣٩١٥)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٨).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٠/٤.

(٤) تفسير الطبري ٣٣/٢٢.

(٥) مسلم (١٧٣)، والمقحّمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار. النهاية ١٩/٤.

(٦) في سننه (٣٣)، وهو عند البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)، وأحمد (١٢٥٠٥).

(٧) النهاية ١٠/٥.

وسكون الباء، ذكرهما يعقوب في «الإصلاح»<sup>(١)</sup>، وهي لغة المصريين، والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبي ﷺ.

وروى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول - وقد ذُكر له سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى - قال: «يسير الراكب في ظلِّ الغصن منها مئة سنة، أو يستظلُّ بظلِّها مئة ركب - شكُّ يحيى - فيها فَرَّاشُ الذهب، كأنَّ ثمرها القِلال» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن<sup>(٢)</sup>.

قلت: وكذا لفظ مسلم<sup>(٣)</sup> من حديث ثابت عن أنس: «ثم ذُهب بي إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وإذا ورقها كآذانِ الفيلة، وإذا ثمرها كالقِلال، فلما غشيها من أمر الله عزَّ وجلَّ ما غشي، تغيَّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسْنِهَا».

واختلف لم سُمِّيت سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى على أقوال تسعة:

الأوَّل: ما تقدَّم عن ابن مسعود أنَّه ينتهي إليها كلُّ ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها.

الثاني: أنَّه ينتهي عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهَا وَيَعزُبُ عِلْمُهُمْ عَمَّا وِراءِهَا، قاله ابن عباس.

الثالث: أنَّ الْأَعْمَالَ تَنْتَهِي إِلَيْهَا وَتَقْبُضُ مِنْهَا، قاله الضحاك.

الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها، قاله كعب<sup>(٤)</sup>.

الخامس: سُمِّيت سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى؛ لِأَنَّهَا يَنْتَهِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ، قاله الربيع

ابن أنس<sup>(٥)</sup>.

(١) إصلاح المنطق ليعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ص ١٩١.

(٢) الترمذي (٢٥٤١)، وفيه: هذا حديث حسن غريب اهـ. وفيه أيضاً: الفنن، بدل: الغصن.

(٣) برقم (١٦٢).

(٤) الأقوال الأربعة ذكرها الماوردي في النكت والعيون ٣٩٦/٥، وأثر ابن مسعود أخرجه مسلم (١٧٣)،

وأحمد (٣٦٦٥)، وأثر الضحاك أخرجه ابن أبي شيبة ٤٢٦/١٣، والطبري ٣٤/٢٢، وأثر كعب

أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٠/١٣، والطبري ٣٣/٢٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٠/٤، وفيه المؤمنين، بدل: الشهداء.

السادس: لأنه تنتهي إليها أرواح المؤمنين، قاله قتادة<sup>(١)</sup>.

السابع: لأنه ينتهي إليها كلُّ من كان على سنة محمد ﷺ ومنهاجه، قاله عليّ ﷺ والربيع بن أنس أيضاً<sup>(٢)</sup>.

الثامن: هي شجرة على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق، قاله كعب أيضاً<sup>(٣)</sup>.

قلت: يريد - والله أعلم - أن ارتفاعها وأعالى أغصانها قد جاوزت رؤوس حملة العرش، ودليله ما تقدّم من أن أصلها في السماء السادسة، وأعلاها في السماء السابعة، ثم علّت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سُمّيت بذلك؛ لأنّ من رُفِعَ إليها فقد انتهى في الكرامة. وعن أبي هريرة لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سِدرة المنتهى، فقيل له: هذه سِدرة المنتهى ينتهي إليها كلُّ أحدٍ خلا من أمّتك على سنّتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماءٍ غير آسِن، وأنهار من لبنٍ لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمرٍ لذّة للشاربين، وأنهار من عسلٍ مُصَفّى، وإذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلّها مئة عام لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمة كلّها، ذكره الثعلبي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ تعريف بموضع جنة المأوى، وأنها عند سِدرة المنتهى<sup>(٥)</sup>. وقرأ عليّ وأبو هريرة وأنس وأبو سبرة الجهنيّ وعبد الله بن الزبير ومجاهد: «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»<sup>(٦)</sup>. يعني: جَنَّةُ المبيت. قال مجاهد: يريد أجنّه<sup>(٧)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٧١/٤.

(٢) النكت والعيون ٣٩٥/٥ دون عزوه إلى عليّ ﷺ.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٠/٤، وأخرجه الطبري ٣٣/٢٢.

(٤) وأخرجه الطبري ٣٧/٢٢-٣٨.

(٥) النكت والعيون ٣٩٦/٥.

(٦) المحتسب ٢٩٣/٢، والقراءات الشاذة ص ١٤٦، ولم يذكرها أبو سبرة الجهني ومجاهد، وزاد زرّ بن حبيش ومحمد بن كعب، وزاد ابن جني - أيضاً - قتادة، ووقع في مطبوع القراءات الشاذة: «عنده»، بدل: «عندها».

(٧) في (ظ) و (د): الجنة.

والهاء للنبي ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال الأخفش: أدركه، كما تقول: جنّه الليل، أي: ستره وأدركه. وقراءة العامة: «جَنَّةُ الْمَأْوَى»، قال الحسن: هي التي يصير إليها المتّقون<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنّها الجنة التي تصير إليها أرواح الشهداء، قاله ابن عباس. وهي عن يمين العرش<sup>(٣)</sup>. وقيل: هي الجنة التي آوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أخرج منها، وهي في السماء السابعة<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنّ أرواح<sup>(٥)</sup> المؤمنين كلّهم في جنة المأوى. وإنّما قيل لها: جنة المأوى؛ لأنّها تأوي إليها أرواح المؤمنين، وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها، وينتسمون بطيب ريحها. وقيل: لأنّ جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها<sup>(٦)</sup>. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَفْشَى الْبَيْدَةَ مَا يَفْشَى﴾ قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود وأصحابه: فرّاش من ذهب<sup>(٧)</sup>. ورواه مرفوعاً ابن مسعود وابن عباس إلى النبي ﷺ<sup>(٨)</sup>. وقد تقدّم في «صحيح مسلم»<sup>(٩)</sup> عن ابن مسعود قوله.

وقال الحسن: غشيها نور ربّ العالمين، فاستنارت<sup>(١٠)</sup>. قال القشيري: وسئل رسول الله ﷺ ما غشيها؟ قال: «فرّاش من ذهب»<sup>(١١)</sup>. وفي خبر آخر: «غشيها نور»

(١) المحرر الوجيز ١٩٩/٥ .

(٢) زاد المسير ٦٩/٨ ، وذكره الرازي ٢٨/٢٩٢ دون عزو.

(٣) النكت والعيون ٥/٣٩٦ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٤٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٧١ ، وأشار محققه إلى أن لفظة: السابعة. جاءت في إحدى النسخ: الرابعة. وكذا وردت في النسخة (ظ) عندنا.

(٥) في (م): أزواج.

(٦) الوسيط ٤/١٩٨ بنحوه.

(٧) أثر ابن مسعود ذكره البغوي في التفسير ٤/٢٤٨ ، وهو جزء من الحديث المتقدم قريباً، وسلف تخريجه هناك.

(٨) حديث ابن عباس أخرجه أبو يعلى (٢٦٥٦)، والطبري ٢٢/٤١ .

(٩) برقم (١٧٣)، وسلف قريباً.

(١٠) تفسير البغوي ٤/٢٤٨ .

(١١) أخرجه الطبري ٢٢/٤٢ عن يعقوب بن زيد.

من الله حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها»<sup>(١)</sup>. وقال الربيع بن أنس: غشيها نورُ الربِّ، والملائكة تقع عليها كما يقع الغربان على الشجرة<sup>(٢)</sup>. وعن النبي ﷺ قال: «رأيت السُدرةَ يغشاها فرّاش من ذهب، ورأيت على كلِّ وَرَقَةٍ مَلَكًا قائماً يسبِّح الله تعالى» وذلك قوله: «إِذْ يُغَشَّى السُّدْرَةَ مَا يُغَشَّى» ذكره المهديُّ والثعلبيُّ<sup>(٣)</sup>. وقال أنس ابن مالك: «إِذْ يُغَشَّى السُّدْرَةَ مَا يُغَشَّى» قال: جرّاد من ذهب. وقد رواه مرفوعاً<sup>(٤)</sup>. وقال مجاهد: إنّه رَفْرَفٌ أخضرٌ. وعنه عليه الصلاة والسلام: «يغشاها رَفْرَفٌ من طير خضر»<sup>(٥)</sup>. وعن ابن عباس: يغشاها ربُّ العزة<sup>(٦)</sup>، أي: أمره، كما في «صحيح مسلم»<sup>(٧)</sup> مرفوعاً: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي». وقيل: هو تعظيم الأمر، كأنه قال: إذ يغشى السُدرة ما أعلم الله به من دلائل ملكوته. وهكذا قوله تعالى: «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ»، «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ . فغشاها ما غشى» [النجم: ٥٣] ومثله: ﴿الْمَلَأْتُهُ . مَا الْمَلَأْتُهُ﴾ [الحاقة: ١-٢].

وقال الماورديُّ في «معاني القرآن» له<sup>(٨)</sup>: فإن قيل: لم اختيرت السُدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأنَّ السُدرة تختصُّ بثلاثة أوصاف: ظلٌّ مديد،

- (١) أخرجه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك ﷺ بنحوه.
- (٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٧١، وأخرجه عنه الطبري ٤٣/٢٢.
- (٣) وأخرجه الطبري ٤٢/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦٠-١٦١: وعبد الرحمن ضعيف، وهذا معضل.
- (٤) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/١٢٦.
- (٥) الكشف ٤/٢٩، ولطائف الإشارات ٣/٤٨٣، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١: لم أجده.
- (٦) أخرجه الطبري ٤٢/٢٢.
- (٧) برقم (١٦٢) عن أنس بن مالك ﷺ، وتقدم.
- (٨) النكت والعيون ٥/٣٩٦، والعبارة من قوله: قال الماوردي... إلى قوله: صوب الله رأسه في النار. جاءت في النسخ الخطية قبل تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، والمثبت من (م) وهو الصواب.

وطعم لذيذ، ورائحة ذكيّة، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونيةً، فظُلِّها من الإيمان بمنزلة العمل؛ لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية؛ لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول؛ لظهوره.

وروى أبو داود في «سننه»<sup>(١)</sup> قال: حدّثنا نصر بن علي قال: حدّثنا أبو أسامة، عن ابن جريج، عن عثمان بن أبي سليمان، عن سعيد بن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عن عبد الله بن حُبْشي، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ» وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سِدْرَةَ فِي فِلاة - يستظلُّ بِها ابْنُ السَّبِيلِ والبهايم - عَبَثًا وظلماً بغير حقِّ يكون له فيها، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قال ابن عباس: أي: ما عدل يميناً ولا شمالاً، ولا تجاوز الحدّ الذي رأى<sup>(٢)</sup>. وقيل: ما جاوز ما أمر به. وقيل: لم يمدَّ بصره إلى غير ما رأى من الآيات. وهذا وصف أدب للنبي ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال ابن عباس: رأى رَفْرَفًا سدَّ الأفق<sup>(٤)</sup>. وذكر البيهقي عن عبد الله قال: «رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»<sup>(٥)</sup>: رأى رَفْرَفًا

(١) برقم (٥٢٣٩)، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (٨٥٥٧)، من طريق مخلد بن يزيد، عن ابن جريج، به. قال المنذري في مختصر السنن ٩٩/٨: وحبشي: بضم الحاء المهملة، وسكون الباء الموحدة، وكسر الشين المعجمة، وياء النسب. اهـ. وأخرجه أيضاً أبو داود (٥٢٤٠) عن عروة بن الزبير مرسلًا.

(٢) أخرجه الطبري ٤٤/٢٢، والحاكم ٤٦٩/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٤٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٠٠.

(٥) بعدها في (م) و (د): قال ابن عباس. ولم ترد هذه العبارة في (ظ) وهو الصواب، وهي كذا في دلائل

النبوة للبيهقي ٣٧٢/٢ والنقل منه، والحديث عند البخاري (٤٨٥٨).

أخضرَ سدَّ أفق السماء. وعنه قال: رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه السلام في حُلَّةٍ رفرِفٍ أخضر، قد ملأ ما بين السماء والأرض. قال البيهقي<sup>(١)</sup>: قوله في الحديث: «رأى رَفْرَفًا» يريد جبريلَ عليه السلام في صورته على رفرِف. والرفرف: البساط. ويقال: فراش<sup>(٢)</sup>. ويقال: بل هو ثوب كان لباساً له، فقد روي أنه رآه في حُلَّةٍ رفرِفٍ. قلت: خرَّجه الترمذي<sup>(٣)</sup> عن عبد الله قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» قال: رأى رسول الله ﷺ جبريلَ عليه السلام في حُلَّةٍ من رفرِف، قد ملأ ما بين السماء والأرض قال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى: «دَنَا فَتَدَلَّى» أنه على التقديم والتأخير، أي: تدلَّى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج فجلس عليه، ثم رُفِع فدنا من ربه. قال: «فارقتني جبريلُ، وانقطعت عني الأصواتُ، وسمعتُ كلامَ ربي» فعلى هذا الرَّفْرَفُ: ما يُقْعَد ويُجَلَسُ عليه كالبساط وغيره. وهو بالمعنى الأول: جبريل. قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حَيَّان: رأى جبريلَ عليه السلام في صورته التي يكون فيها في السماوات<sup>(٤)</sup>. وكذا في «صحيح مسلم» عن عبد الله قال: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّي الْكُبْرَى» قال: رأى جبريلَ في صورته له ستُّ مئة جناح<sup>(٥)</sup>. ولا يبعد مع هذا أن يكون في حُلَّةٍ رفرِفٍ، وعلى رفرِفٍ، والله أعلم.

وقال الضحاك: رأى سِدْرَةَ المنتهى. وعن ابن مسعود: رأى ما غشي السُدرة من فَرَاشِ الذهب، حكاه الماوردي<sup>(٦)</sup>. وقيل: رأى المعراج. وقيل: هو ما رأى تلك

(١) في دلائل النبوة ٢/٣٧٢.

(٢) النهاية ٢/٢٤٢-٢٤٣.

(٣) برقم (٣٢٨٣)، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٤٦٧)، وأحمد (٣٧٤٠).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٧١ ونسبه لابن زيد، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٤٦.

(٥) سلف ص ٢٥ من هذا الجزء.

(٦) في النكت والعيون ٥/٣٩٧، وسلف تخريجه عنه ١٧/٩٦.

الليلة في مسراه في عوده وبده (١). وهو أحسن، دليله: ﴿لِرَبِّهِمْ مِنْ أَتَيْنًا﴾ [الإسراء: ١]، و«من» يجوز أن تكون للتبويض، وتكون «الْكُبْرَى» مفعولة لـ «رأى» وهي في الأصل صفة الآيات، ووحدت لرؤوس الآيات. وأيضاً يجوز نعت الجماعة بنعت الأنثى (٢)، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَّ فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] وقيل: «الْكُبْرَى» نعت لمحذوف، أي: رأى من آيات ربِّه الكبرى (٣). ويجوز أن تكون «من» زائدة، أي: رأى آيات ربِّه الكبرى. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي: رأى الكبرى من آيات ربِّه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلْتُمْ الْبُرِّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخِرَىٰ ﴿١٩﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢٠﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلْتُمْ الْبُرِّ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخِرَىٰ﴾ لما ذكر الوحي إلى النبي ﷺ، وذكر من آثار قدرته ما ذكر، حاجَّ المشركين إذ عبدوا ما لا يعقل وقال: أفرايتم هذه الآلهة التي تعبدونها أَوْحِينَ إِلَيْكُمْ شَيْئاً كما أَوْحِيَ إِلَى مُحَمَّدٍ (٤)، وكانت اللَّاتُ لِثَقِيفٍ، وَالْعُزَّى لِقُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ، وَمَنَاةُ لِبَنِي هَلَالٍ. وقال هشام (٥): فكانت مَنَاةٌ لِهَذَا بَلَدٍ وَخَزَاعَةَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهَدَمَهَا عَامَ الْفَتْحِ. ثم اتخذوا اللَّاتَ بِالطَّائِفِ، وَهِيَ أَحَدُثُ مِنْ مَنَاةَ، وَكَانَتْ صَخْرَةً مُرْبَعَةً، وَكَانَ سَدَنَتُهَا مِنْ ثَقِيفٍ، وَكَانُوا قَدْ بَنَوْا عَلَيْهَا بِنَاءً، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَجَمِيعُ الْعَرَبِ تُعْظِمُهَا. وبها كانت العرب تسمي: زيد اللَّات، وتيم اللَّات. وكانت في موضع منارة (٦) مسجد الطائف

(١) في (د): وتدنيه.

(٢) المحرر الوجيز ٢٠٠/٥ بنحوه.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/٢٩٥.

(٤) المحرر الوجيز ٢٠٠/٥ بنحوه.

(٥) في النسخ الخطية: ابن هشام. والمثبت من (م) وهو الصواب، وهو أبو المنذر هشام بن محمد بن

السائب الكلبي، وكلامه في كتابه «الأصنام» ص ١٤-١٥.

(٦) ليست في النسخ الخطية، وهي زيادة من (م) والأصنام ص ١٦.

اليسرى، فلم تَزَلْ كذلك إلى أن أسلمت ثَقِيفٌ، فبعث رسولُ الله ﷺ المغيرةَ بنَ شعبة فهدمها، وحرقها بالنار. ثم اتخذوا العُرَى وهي أحدث من اللات، اتخذها ظالم بن أسعد<sup>(١)</sup>، وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عِرْق، فبنوا عليها بيتاً<sup>(٢)</sup>، وكانوا يسمعون منها الصوت.

قال هشام<sup>(٣)</sup>: وحدثني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كانت العُرَى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد ﷺ فقال: «إيتي بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات، فاعضد الأولى» فأتاها فعصدها، فلما جاء إليه قال: «هل رأيت شيئاً» قال: لا. قال: «فاعضد الثانية» فأتاها فعصدها، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا. قال: «فاعضد الثالثة» فأتاها فإذا هو بحبشية نافسة شعرها، واضعة يديها<sup>(٤)</sup> على عاتقها تصرف<sup>(٥)</sup> بأنيابها، وخلفها دبيبة السلمي وكان سادنها فقال:

يا عَزُّ كُفْرَانِكَ لا سُبْحَانِكَ      إِنِّي رَأَيْتُ اللّهَ قَدْ أَهَانَكَ<sup>(٦)</sup>  
ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حُمَّمة<sup>(٧)</sup>، ثم عصد الشجرة، وقتل دبيبة السادن، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العُرَى»<sup>(٨)</sup>.

(١) في النسخ الخطية، سعد، والمثبت من (م) وكتاب الأصنام ص ١٨.

(٢) في الأصنام: بسأ.

(٣) في النسخ: ابن هشام. والمثبت من الأصنام ص ٢٥-٢٨، وهو الصواب، والكلام منه.

(٤) في النسخ الخطية: يدها. والمثبت من (م) وهو الموافق لما جاء في الأصنام.

(٥) في النسخ الخطية: تضرب. والمثبت من (م) وهو الموافق لما جاء في الأصنام، وصرف الناب: صوت، معجم متن اللغة (صرف).

(٦) القائل: خالد بن الوليد كما في الأصنام ص ٢٦، والكلام منه، والبيت أخرجه عنه الطبراني في الكبير (٣٨١١) عن أبي عبد الرحمن السلمي مرسلأ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٦: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل.

(٧) في النسخ الخطية: جمجمة. والمثبت من (م) والأصنام، والحمة، الفحم البارد. لسان (حمم).

(٨) وأخرجه الفراء في معاني القرآن له ٩٨/٣ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس =

وقال ابن جُبَيْر: العُرَى: حجر أبيض كانوا يعبدونه<sup>(١)</sup>. قتادة: بيت<sup>(٢)</sup> كان يبطن نَحْلَةً.

ومَنَاة: صنم لخزاعة<sup>(٣)</sup>. وقيل: إنَّ «اللَّات» فيما ذكر بعض المفسرين أخذَه المشركون من لفظ «الله»، و«العُرَى» من العزيز، و«مَنَاة» من مَنَى الله الشيء: إذا قَدَّرَه<sup>(٤)</sup>.

وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحُميد وأبو صالح: «اللَّات» بتشديد التاء<sup>(٥)</sup>، وقالوا: كان رجلاً يَلْتُ السَّوِيقَ للحاجِّ - ذكره البخاري<sup>(٦)</sup> عن ابن عباس - فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. ابن عباس: كان يبيع السَّوِيقَ والسَّمْنَ عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات ذلك الرجل، عَبَدَتْ ثَقِيفُ تلك الصخرة؛ إعظاماً لصاحب السَّوِيق<sup>(٧)</sup>.

أبو صالح: إنَّما كان رجلاً بالطائف فكان يقوم على آلهتهم، ويَلْتُ لهم السَّوِيقَ، فلما مات عبده<sup>(٨)</sup>.

= مختصراً، وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى (٩٠٢) عن أبي الطفيل بنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٦: رواه الطبراني، وفيه يحيى بن المنذر، وهو ضعيف. اهـ. والواقدي في المغازي ٣/٨٧٣-٨٧٤، ومن طريقه الأزرق في أخبار مكة ١/١٢٧-١٢٨ عن سعيد بن عمرو الهذلي بنحوه.

(١) أخرجه الطبري ٤٩/٢٢.

(٢) في (م): نبت. وأخرجه عنه الطبري ٥٠/٢٢.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٥٠، ونسبه للضحاك.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٧٢.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/٢٩٤.

(٦) في صحيحه (٤٨٥٩)، ولتَّ السَّوِيقَ، أي: بَلَّه بالماء ونحوه. والسويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير. لسان العرب (لتت) و(سوق).

(٧) أخرجه الفراء في معاني القرآن له ٣/٩٨، والطبري ٢٢/٤٨ بنحوه، وينظر التعليق السابق.

(٨) أخرجه عنه الطبري ٤٨/٢٢.

مجاهد: كان رجل في رأس جبل له غَنِيْمَةٌ يَسْلِي منها السَّمَنَ، ويأخذ منها الأَقْطَ، ويجمع رِسْلَهَا، ثم يَتَّخِذُ منها حَيْسًا فيطعم الحَاجَّ، وكان ببطن نَخْلَةٍ، فلما مات عبده وهو اللَّاتُ<sup>(١)</sup>. وقال الكلبي: كان رجلاً من ثَقِيفٍ يقال له: صِرْمَةُ بن غنم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنَّه عامر بن ظَرِبِ العَدَوَانِي. قال الشاعر:

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا      وكيف يَنْصُرُكُمْ مَنْ لَيْسَ يَنْتَصِرُ<sup>(٣)</sup>

والقراءة الصحيحة «اللَّاتُ» بالتخفيف، اسم صنم، والوقوف عليها بالتاء، وهو اختيار الفراء. قال الفراء<sup>(٤)</sup>: وقد رأيت الكسائيَّ سأل أبا فَعْفَعَسَ الأَسَدِيَّ فقال: ذاه لذات، وقال: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاهَ». وكذا قرأ الدُّورِيُّ عن الكسائيِّ، والبَزِّيُّ عن ابن كثير «اللَّاهُ» بالهاء في الوقف<sup>(٥)</sup>، ومن قال: إنَّ «اللَّاتُ» من الله، وقف بالهاء أيضاً. وقيل: أصلها لاه، مثل شاه، وهي من لَاهَتْ، أي: اختفت، قال الشاعر:

لَاهَتْ فَمَا عُرِفَتْ يَوْمًا بِخَارِجَةٍ      يا ليتها خَرَجَتْ حَتَّى رَأَيْنَاهَا

وفي «الصَّحاح»<sup>(٦)</sup>: اللَّاتُ: اسم صنم كان لِثَقِيفٍ وكان بالطائف. وبعض العرب يقف عليه بالتاء، وبعضهم بالهاء، قال الأَخْفَشُ: سمعنا من العرب من يقول: اللَّاتُ

(١) تفسير البغوي ٢٤٩/٤، وذكره الفاكهي في أخبار مكة ١٦٤/٥، وسَلَّ السَّمَنَ: طبخه وعالجه فأذاب زبده. والأقْطُ: شيء يتخذ من اللبن المخيض، يطبخ ثم يترك حتى يمصل. والرَّسَلُ: اللبن ما كان. والحَيْسُ: الطعام المتخذ من التمر والأقْطُ والسمن. لسان العرب (سلا) و (أقْط) و (رسل) و (حيس).

(٢) تفسير البغوي ٢٤٩/٤.

(٣) النكت والعيون ٣٩٨/٥، وذكر البيت هشام الكلبي في الأصنام ص ١٧، ونسبه لشداد بن عارض الجشمي.

(٤) في معاني القرآن له ٩٧/٣.

(٥) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٣٣٦، والنشر في القراءات العشر ١٣٢/٢ عن الكسائي وحده.

(٦) مادة: (ليه).

والعزّي، ويقول: هي اللّات، فيجعلها تاء في السّكوت، وهي اللّات فاعلم أنّه جرّ في موضع الرفع، فهذا مثل: أمس، مكسورٌ على كلّ حال، وهو أجودٌ منه؛ لأنّ الألف واللام اللّتين في اللّات لا تسقطان وإن كانتا زائدتين. وأمّا ما سمعنا من الأكثر في اللّات والعزّي في السّكوت عليها فاللّاه؛ لأنّها هاءٌ فصارت تاءً في الوصل، وهي في تلك اللغة مثل: كان من الأمر كَيْتٍ وكَيْتٍ، وكذلك هيهاتٍ في لغة من كسر<sup>(١)</sup>؛ إلا أنّه يجوز في هيهاتٍ أن تكون جماعة، ولا يجوز ذلك في اللّات؛ لأنّ التاء لا تتراد في الجماعة إلا مع الألف، وإن جعلت الألف والتاء<sup>(٢)</sup> زائدتين بقي الاسم على حرف واحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْزَلةُ النَّارِ الْأَخْرَى﴾ قرأ ابن كثير وابن مُحَيِّصَن وَحُمَيْد ومجاهد والسُّلَمِيُّ والأعشى عن أبي بكر: «وَمَنْزَلةٌ» بالمدّ والهمز. والباقون: بترك الهمز<sup>(٣)</sup>، لغتان. وقيل: سُمِّيَ بذلك؛ لأنّهم كانوا يريقون عنده الدماء؛ يتقرَّبون بذلك إليه. وبذلك سُمِّيَتْ مَنَى؛ لكثرة ما يُراق فيها من الدماء<sup>(٤)</sup>. وكان الكسائي وابن كثير وابن مُحَيِّصَن يقفون بالهاء على الأصل<sup>(٥)</sup>. الباقون: بالتاء؛ اتِّباعاً لخطِّ المصحف<sup>(٦)</sup>.

وفي «الصَّحاح»<sup>(٧)</sup>: ومناة: اسم صنم كان [لهذيل وخزاعة] بين مكّة والمدينة، والهاء للتأنيث، ويسكت عليها بالتاء، وهي لغة، والنسبة إليها: مَنَوِيٌّ. وعبدُ مَناةَ بِنُ

(١) في (م): كسرهما.

(٢) في (د) و(ظ): واللام.

(٣) قراءة ابن كثير في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٤.

(٤) تهذيب اللغة ٥٣١/١٥، والكشاف ٣٠/٤.

(٥) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ١٣٣/٢: وشدّ جماعة من العراقيين فرووا عن الكسائي وحده الوقف على مناة بالهاء، وعن الباقيين بالتاء، ذكر ذلك ابن سوار وأبو العز وسبط الخياط، وهو غلط... وأكّد ذلك في ٣٧٩/٢ بقوله: وما وقع في كتب بعضهم من أن الكسائي وحده يقف بالهاء والباقون بالتاء، فوهم لعله انقلب عليهم من اللات كما قدمناه في بابه.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٧٣/٥.

(٧) مادة: (منا)، وما بين حاصرتين منه.

أُدُّ بن طابِخة، وزيدُ مناةُ بن تميم بن مُرٍّ، يُمدُّ ويقصر، قال هُوَ بَر الحارثيُّ:  
 أَلَا هَلْ أَتَى التَّيْمَ بَنَ عَبْدِ مَنَاءٍ عَلَى الشُّنْءِ فِيمَا بَيْنَنَا ابْنُ تَمِيمٍ<sup>(١)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿الْأُخْرَى﴾ العرب [لا]<sup>(٢)</sup> تقول للثالثة: أخرى، وإنما الأخرى نعت  
 للثانية، واختلفوا في وجهها فقال الخليل: إنما قال ذلك؛ لوفاق رؤوس الآي،  
 كقوله: ﴿مَتَارِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: أخر. وقال الحسين بن الفضل: في الآية  
 تقديم وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللآت والعزى الأخرى ومناة الثالثة<sup>(٣)</sup>.  
 وقيل: إنما قال: «ومناة الثالثة الأخرى» لأنها كانت مرتبة عند المشركين في  
 التعظيم بعد اللآت والعزى<sup>(٤)</sup>، فالكلام على نسقه. وقد ذكرنا عن هشام<sup>(٥)</sup>: أن مناة  
 كانت أولاً في التقديم، فلذلك كانت مقدّمة عندهم في التعظيم، والله أعلم. وفي  
 الآية حذف دلّ عليه الكلام، أي: أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون  
 شركاء لله.

ثم قال على جهة التفرّيع والتوبيخ: ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ ردّاً عليهم قولهم:  
 الملائكة بناتُ الله، والأصنام بناتُ الله<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا﴾ يعني: هذه القسمة ﴿فَسِنَّةٌ ضَيْرَى﴾ أي: جائرة عن  
 العدل، خارجة عن الصواب، مائلة عن الحقّ.

يقال: ضَاوَرَ فِي الْحَكْمِ، أي: جَارَ، وَضَاوَرَهُ حَقُّهُ يَضِيرُهُ ضَيْرًا - عن الأخفش -

(١) ذكره أيضاً أبو العلاء المعري في الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ ص ٦٣ ، والشنء: البغض. لسان العرب (شناً).

(٢) ليست في النسخ الخطية، والمثبت من (م)، وهو الصواب.

(٣) زاد المسير ٧٢/٨ - ٧٣.

(٤) النكت والعيون ٣٩٨/٥.

(٥) في النسخ: ابن هشام، والصواب ما أثبتناه، وكما أسلفنا، وهو هشام بن محمد بن السائب، واشتهر  
 بابن الكلبي، وكلامه في الأصنام ص ١٣.

(٦) المحرر الوجيز ٢٠١/٥.

أي: نقصه وبخسه. قال: وقد يهمز فيقال: ضازه يَضَازُهُ ضَاوًا وأنشد:

فَإِنْ تَنَا عَنَّا نَنْتَقِضْكَ وَإِنْ تُقِمَّ فِقِسْمُكَ مَضُورٌ وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ<sup>(١)</sup>

وقال الكسائي: يقال: ضازَ يَضِيرُ ضَيْرًا، وضازَ يَضُوزُ ضَوْزًا، وضَازَ يَضَازُ

ضَاوًا: إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص<sup>(٢)</sup>. قال الشاعر:

ضَاوَتْ بَنُو أَسَدٍ بِحُكْمِهِمْ إِذْ يَجْعَلُونَ الرَّأْسَ كَالذَّنْبِ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: «قِسْمَةٌ ضِيزَى» أي: جائزة، وهي فُعْلَى، مثل: طُوبَى وَحُبْلَى، وإنَّما

كسروا الضاد؛ لتسلم الياء؛ لأنه ليس في الكلام «فِعْلَى» صفةً، وإنَّما هو من بناء

الأسماء كالشُعْرَى والدَّفْلَى. قال الفراء: وبعض العرب تقول: ضُوْزَى وضِيزَى

بالهمز. وحكى أبو حاتم عن أبي زيد: أنه سمع العرب تهمز «ضِيزَى»<sup>(٤)</sup>.

قال غيره: وبها قرأ ابن كثير، جعله مصدرًا، مثل ذُكْرَى<sup>(٥)</sup>، وليس بصفة، إذ

ليس في الصفات «فِعْلَى»، ولا يكون أصلها «فُعْلَى»، إذ ليس فيها ما يوجب القلب،

وهي من قولهم: ضَاوَتْه، أي: ظلمته. فالمعنى: قسمة ذات ظلم. وقد قيل: هما

لغتان بمعنى. وحكى فيها أيضاً سواهما: ضِيزَى وضَاوَى، وضُوْزَى وضُوْزَى<sup>(٦)</sup>. وقال

المؤرِّج: كرهوا ضمَّ الضاد في ضِيزَى، وخافوا انقلاب الياء واوًا، وهي من بنات

الواو، فكسروا الضاد لهذه العلة، كما قالوا في جمع أبيض: يبيضُ، والأصل بُوضُ،

(١) الصحاح (ضيز)، وذكر البيت أيضاً الأزهرى في تهذيب اللغة ٥٢/١٢، والماوردي في النكت والعيون

٣٩٩/٥، وجاء في الصحاح: فحكك، وفي التهذيب: فحظك، بدل: فقسّمك، وفي النسخ الخطية:

تغب، بدل: تقم.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٥٠.

(٣) القائل امرؤ القيس كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور ١٢٧/٦ وعزاه إلى الطستي في مسائله عن

ابن عباس رضي الله عنهما، وورد في الدر: يعدلون، بدل: يجعلون.

(٤) الصحاح (ضيز)، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٩٨/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٠١، والقراءة في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٤.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/٧٣.

مثل: حُمْرٌ وَصُفْرٌ وَخُضْرٌ. فأما من قال: ضاز يَضُوز، فالاسم منه: ضُوْرَى مثل سُورَى<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَكَرَّمْنَا مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: ما هي - يعني هذه الأوثان - «إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا» يعني: نَحْتُمُوهَا وَسَمَّيْتُمُوهَا آلِهَةً. ﴿أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ أي: قَلَّدْتُمُوهُمْ فِي ذَلِكَ. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ عاد من الخطاب إلى الخبر<sup>(٢)</sup>، أي: ما يتَّبِع هؤلاء إِلَّا الظَّنَّ. ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: تميل إليه.

وقراءة العامة: «يَتَّبِعُونَ» بالياء. وقرأ عيسى بن عمر وأيوب وابن السَّمِيفَع «تَتَّبِعُونَ» بالتاء على الخطاب. وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس<sup>(٣)</sup>. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ أي: البيان من جهة الرسول أنها ليست بالهة<sup>(٤)</sup>. ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي: اشتهى، أي: ليس ذلك له<sup>(٥)</sup>. وقيل: «لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» [من البنين، أي: يكون له دون البنات<sup>(٦)</sup>]. وقيل: «أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» من غير جزاء! ليس الأمر كذلك. وقيل: «أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى» من النبوة أن تكون فيه دون غيره<sup>(٧)</sup>. وقيل: «أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا

(١) تفسير البغوي ٢٥٠/٤ ولم ينسبه للمؤرِّج.

(٢) تفسير البغوي ٢٥١/٤.

(٣) الكشاف ٣١/٤، وتفسير الرازي ٣٠٠/٢٨، دون عزو، والبحر المحيط ١٦٢/٨ - ١٦٣.

(٤) تفسير البغوي ٢٥١/٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٤.

(٦) النكت والعيون ٣٩٩/٥.

(٧) النكت والعيون ٣٩٩/٥، وما بين حاصرتين ليست في (د).

تَمَنَّى] من شفاعة الأصنام<sup>(١)</sup>، نزلت في النضر بن الحارث. وقيل: في الوليد بن المغيرة<sup>(٢)</sup>. وقيل: في سائر الكفار.

﴿لِللَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا ما تمنى أحد<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُحِصِي شَعْرَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضًى﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له<sup>(٤)</sup>. قال الأخفش: الملك واحد، ومعناه جمع، وهو كقوله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرُونَ مِنْ آلِهِ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]. وقيل: إنما ذكر ملكاً واحداً؛ لأنَّ «كَمْ» تدلُّ على الجمع<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَكَّلَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله. ﴿لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ أي: كتسمية الأنثى، أي: يعتقدون أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله<sup>(٦)</sup>. ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: إنهم لم يشاهدوا خلقه الملائكة، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله ﷺ، ولم يروه في كتاب.

(١) الوسيط ٢٠٠/٤.

(٢) الكشاف ٣١/٤.

(٣) الكشاف ٣١/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٩٩/٣.

(٦) الوسيط ٢٠٠/٤.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما يتَّبِعُونَ ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ في أن الملائكة إناث. ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني: القرآن والإيمان<sup>(١)</sup>، وهذا منسوخ بآية السيف<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ نزلت في النَّضْر. وقيل: في الوليد. ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: إنما يُبصرون أمر دنياهم، ويجهلون أمر دينهم. قال الفراء<sup>(٣)</sup>: صغرهم وازدرى بهم، أي: ذلك قَدْر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: أن جعلوا الملائكة والأصنام بناتِ الله. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: حاد عن دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ فيجازي كُلًّا بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَقَى﴾ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ اللام متعلقة بالمعنى الذي دلَّ عليه: «ولله ما في السماوات وما في الأرض» كأنه قال: هو مالك ذلك، يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء؛ ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته<sup>(٤)</sup>. وقيل: «لله ما في السماوات وما في الأرض» معترض في الكلام، والمعنى: إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى؛ ليجزي<sup>(٥)</sup>. وقيل: هي لام العاقبة<sup>(٦)</sup>، أي: ولله ما في السماوات وما في الأرض،

(١) تفسير البغوي ٢٥١/٤.

(٢) الوسيط ٢٠١/٤.

(٣) في معاني القرآن له ١٠٠/٣.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٦٩٣/٢ - ٦٩٤.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٣/٥.

(٦) زاد المسير ٧٥/٨.

أي: وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن؛ فللمسيء السوأى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ هذا نعت للمحسنين<sup>(١)</sup>، أي: هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي: «كَبِيرًا» على التوحيد<sup>(٢)</sup>، وفسره ابن عباس بالشرك. «وَالْفَوَاحِشَ» الزنى<sup>(٣)</sup>. وقال مقاتل: «كَبَائِرُ الْإِثْمِ»: كلُّ ذنبٍ حُتِمَ بالنار. «وَالْفَوَاحِشَ»: كلُّ ذنبٍ فيه الحدُّ<sup>(٤)</sup>. وقد مضى في «النساء»<sup>(٥)</sup> القول في هذا. ثم استثنى استثناءً منقطعاً وهي:

المسألة الثانية: فقال: «إِلَّا اللَّمَمَ»: وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه.

وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: «اللَّمَمُ»: كلُّ ما دون الزنى<sup>(٦)</sup>. وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يُسَمَّى نبهان التَّمَّار، كان له حانوت يبيع فيه تمرًا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرًا فقال لها: إنَّ داخل الدكان ما هو خيرٌ من هذا، فلما دخلت راودها، فأبت وانصرفت، فندم نبهان، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد

(١) المحرر الوجيز ٢٠٣/٥.

(٢) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ١٩٥، وقراءة الأعمش ويحيى بن وثاب في

المحرر الوجيز ٢٠٣/٥.

(٣) تفسير الطبري ٦٠/٢٢.

(٤) زاد المسير ٧٥/٨ ولم ينسبه.

(٥) ٢٦٢/٦.

(٦) الوسيط ٢٠١/٤.

فعلته إلا الجماع. فقال: «لعلَّ زوجها غازٍ» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، وقد مضى في آخر «هود»<sup>(٢)</sup>.

وكذا قال ابن مسعود وأبو سعيد الخُدريُّ وحذيفة ومسروق: إنَّ اللمم ما دون الوطاء من القُبلة والعَمزة والنظرة والمضاجعة<sup>(٣)</sup>.

وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدِّق ذلك أو يكذِّبه الفَرْجُ، فإن تقدَّم كان زنى، وإن تأخَّر كان لَمَمًا<sup>(٤)</sup>. وفي «صحيح البخاري ومسلم»<sup>(٥)</sup> عن ابن عباس قال: ما رأيتُ شيئاً أشبه باللَّمم مما قال أبو هريرة: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله كتب على ابن آدم حَظَّهُ من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه». والمعنى: أنَّ الفاحشة العظيمة والزنى التام الموجب للحدِّ في الدنيا والعقوبة في الآخرة، هو في الفَرْج، وغيره له حظٌّ من الإثم<sup>(٦)</sup>. والله أعلم.

وفي رواية أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنى، مُدْرِكُ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الحُطَّا، والقلب

(١) سلف ٥/٣٢٢.

(٢) ٢٣٠/١١.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٥٢.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٥٥، والطبري ٢٢/٦٢، والحاكم في المستدرک ٢/٤٧٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٦٠) من طريق أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود به، ولم يرد: مسروق، في إسناد عبد الرزاق والطبري. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥) البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له، وهو عند أحمد (٧٧١٩).

(٦) إكمال المعلم ٨/١٤٥.

يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ». خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>. وقد ذكر الثعلبي حديث طائوس عن ابن عباس، فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان: «وزنى الشفتين القُبلة»<sup>(٢)</sup>. فهذا قول.

وقال ابن عباس أيضاً: هو الرجل يُلِمُّ بذنب ثم يتوب. قال: أَلَمْ تَسْمَعْ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا  
رواه عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسناداً.

وروى شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله عزَّ وجلَّ: «إِلَّا اللَّئِمَّ» قال: هو أن يُلِمَّ العبدُ بالذنب ثم لا يعاوده، قال الشاعر:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا<sup>(٤)</sup>  
وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده<sup>(٥)</sup>. ونحوه عن

(١) في صحيحه (٢٦٥٧): (٢١).

(٢) وقد وردت هذه الزيادة في حديث ابن مسعود السالف الذكر، وثمة تخريجه هناك.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٨٤) من طريق زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، به. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. اهـ. والبيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في ديوانه ص ٥٨، ونسبه بعضهم لأبي خراش الهذلي كما في أمالي ابن الشجري ٥٣٦/٢، وشرح أشعار الهذليين ١٣٤٦/٣ وغيرها من المصادر، لكن قال البغدادي في خزانة الأدب ٢٩٥/٢: وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي، وهذا خطأ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت، قاله عند موته، وقد أخذه أبو خراش منه. وينظر التعليق الآتي.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٨٥/١٠، وفي شعب الإيمان (٧٠٥٧) من طريق آدم بن أبي إياس، عن شعبة، به. وقال: هذا هو المحفوظ موقوف. اهـ. وأخرجه أيضاً الطبري ٦٤/٢٢ من طريق محمد ابن جعفر، عن شعبة، به. إلا أنه لم يذكر ابن عباس في إسناده.

(٥) التكت والعيون ٤٠٠/٥، وأخرجه الطبري ٦٤/٢٢ عن مجاهد بنحو قول ابن عباس الآنف الذكر، وأخرجه مجاهد في التفسير ٦٣١/٢، والطبري ٦٤/٢٢ - ٦٥ عن الحسن بنحوه.

الزهري، قال: اللَّمَمُ: أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية [١٣٥ من آل عمران]. ثم قال: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٦] فضمن لهم المغفرة، كما قال عقيب اللَّمَمُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ فعلى هذا التأويل يكون «إِلَّا اللَّمَمُ» استثناء متصل. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللَّمَمُ: ما دون الشرك<sup>(١)</sup>. وقيل: اللَّمَمُ: الذنب بين الحدّين، وهو ما لم يأت عليه حدّ في الدنيا، ولا تُوعّد عليه بعذاب في الآخرة، تكفّره الصلوات الخمس. قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة<sup>(٢)</sup>. ورواه العوفي والحكم بن عتيبة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وقال الكلبي: اللَّمَمُ على وجهين: كلُّ ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفّره الصلوات الخمس، ما لم يبلغ الكبائر والفواحش. والوجه الآخر: هو الذنب العظيم يُلمُّ به الإنسان المرّة بعد المرّة فيتوب منه<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس أيضاً وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به. وذلك أنّ المشركين قالوا للمسلمين: إنّما كنتم بالأمس تعملون معنا، فنزلت، وقاله زيد بن أسلم وابنه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>(٥)</sup> [النساء: ٢٣].

(١) تفسير البغوي ٢٥٢/٤، وأخرجه عنه الطبري ٦٦/٢٢.

(٢) المحرر الوجيز ٢٠٤/٥ وعزاه إلى أبي هريرة وابن عباس، والنكت والعيون ٤٠١/٥ وعزاه إلى ابن عباس وقتادة، وأخرجه الطبري ٦٧/٢٢ - ٦٨ عن ابن عباس وابن الزبير وعكرمة وقتادة والضحاك.

(٣) أورده ابن كثير في التفسير ٤٦٢/٧ عن العوفي عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ٦٧/٢٢ عن الحكم بن عتيبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) تفسير البغوي ٢٥٢/٤ - ٢٥٣.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٤/٥ ولم ينسبه لأبي هريرة، وذكره عنه أبو الليث السمرقندي في التفسير ٢٩٣/٣.

وقيل: اللَّمَمُ: هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة، قاله نفطويه<sup>(١)</sup>. قال: والعرب تقول: ما يأتينا إلا لِمَاماً؛ أي: في الحين بعد الحين. قال: ولا يكون أن يُلِمَّ ولا يفعل؛ لأنَّ العرب لا تقول: أَلَمَّ بنا، إلا إذا فعل الإنسان، لا إذا همَّ ولم يفعله. وفي «الصحيح»<sup>(٢)</sup>: وألَمَّ الرجل، من اللَّمَم: وهو صفائر الذنوب، ويقال: هو مقارنة المعصية من غير واقعة. وأنشد غير الجوهري:

بِزَيْنَبِ أَلَمِّمْ قَبْلَ أَنْ يَرَحَلَ الرَّكْبُ      وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكِ الْقَلْبُ<sup>(٣)</sup>  
أي: اقرب.

وقال عطاء بن أبي رباح: اللَّمَمُ: عادة النفس الحين بعد الحين<sup>(٤)</sup>. وقال سعيد ابن المسيب: هو ما أَلَمَّ على القلب، أي: خطر<sup>(٥)</sup>. وقال محمد ابن الحنفية: كلُّ ما هممت به من خير أو شرٍّ، فهو لَمَمٌ<sup>(٦)</sup>. ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً» الحديث. وقد مضى في «البقرة»<sup>(٧)</sup> عند قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [الآية: ٢٣٨].

وقال أبو إسحاق الزجاج: أصل اللَّمَمُ والإلمام: ما يعمله الإنسان المرّة بعد المرّة ولا يتعمّق فيه ولا يقيم عليه<sup>(٨)</sup>. يقال: أَلَمَّتْ به، إذا زرتَه وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لَمَمًا وإلمامًا، أي: الحين بعد الحين. وإنما زيارتك إمام<sup>(٩)</sup>،

(١) المحرر الوجيز ٢٠٤/٥.

(٢) مادة: (لمم).

(٣) القائل نَصِيبُ بن رباح، والبيت في ديوانه ص ٦٠.

(٤) الكشف ٣٢/٤.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٤/٥.

(٦) زاد المسير ٧٦/٨.

(٧) ٣٥٥/٤.

(٨) معاني القرآن للزجاج ٧٤/٥، والوسيط ٢٠٢/٤ بنحوه.

(٩) لسان العرب (لمم) بنحوه.

ومنه إلمام الخيال، قال الأعشى<sup>(١)</sup>:

أَلَمْ خَيَالٍ مِنْ قُتَيْلَةٍ بَعْدَ مَا وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا

وقيل: «إلا» بمعنى الواو<sup>(٢)</sup>. وأنكر هذا الفراء<sup>(٣)</sup> وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب. وقيل: اللمم: النظرة التي تكون فجأة<sup>(٤)</sup>.

قلت: هذا فيه بعدٌ، إذ هو معفوٌّ عنه ابتداءً، غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار، وقد مضى في «النور» بيانه<sup>(٥)</sup>.

واللّم أيضاً: طَرَفٌ من الجنون، ورجل ملموم، أي: به لَمَمٌ. ويقال أيضاً: أصابت فلاناً لَمَّةً من الجنِّ، وهي المسُّ، والشيء القليل، قال الشاعر:

فإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٍ بِخَيَالٍ<sup>(٦)</sup>

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ لمن تاب من ذنبه واستغفر، قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>. وقال أبو ميسرة عمرو بن شَرَحْبِيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود: رأيتُ في المنام كأنّي دخلتُ الجنَّةَ، فإذا قِبابٌ مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكَلَاعِ وَحَوْشَبٍ - وكانا ممن قُتِلَ بعضهم بعضاً - فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنَّهما لقيَا اللهَ فوجداهُ واسعَ المغفرة. فقال أبو خالد: بلغني أنَّ ذا الكَلَاعِ أعتق اثني عشر ألف بيت<sup>(٨)</sup>.

(١) في ديوانه ص ٥٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٢٩٣/٣.

(٣) في معاني القرآن له ١٠٠/٣.

(٤) المحرر الوجيز ٢٠٤/٥ ونسبه للحسين بن الفضل.

(٥) ٢٠٩/١٥ - ٢١٠.

(٦) الصحاح (لمم) ولم ينسب البيت فيه، ونسب في لسان العرب (لمم) إلى ابن مقبل، ولم نقف عليه في ديوانه.

(٧) الوسيط ٢٠٢/٤.

(٨) أخرجه سعيد بن منصور في السنن ٣٤٠/٢، وابن أبي شيبة ٢٩٠/١٥، وأبو نعيم في الحلية =

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أباكم آدم من الطين<sup>(١)</sup>، وخرج اللفظ على الجمع.

قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعاً في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذرؤ النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات، منهم كالدُّرِّ يتلأأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحُمَّة، وبعضهم أشدُّ سواداً من بعض، فكان الإنشاء واقعاً علينا وعليه. حدّثنا عيسى بن حماد العسقلاني قال: حدّثنا بشر بن بكر، قال: حدّثنا الأوزاعي، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ بَيْنَ يَدَيِ حَجْرَتِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ» فقال قائل: يا رسول الله! ومن مضى من الخلق؟ قال: «نعم، عُرِضَ عَلَيَّ آدَمُ فَمِنْ دُونِهِ، فَهَلْ كَانَ خُلِقَ أَحَدٌ» قالوا: ومن في أصلاب الرجال ويطون الأمهات؟ قال: «نعم، مثلوا في الطين فعرفتهم، كما علم آدم الأسماء كلها»<sup>(٢)</sup>.

قلت: وقد تقدّم في أوّل «الأنعام»<sup>(٣)</sup> أنّ كلّ إنسان يُخلَق من طين البقعة التي يدفن فيها.

﴿وَإِذْ أَنْتَرْنَا آجِنَةً﴾ جمع جنين: وهو الولد ما دام في البطن، سُمِّيَ جَنِينًا؛ لاجتنانه واستتاره<sup>(٤)</sup>. قال عمرو بن كلثوم:

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا<sup>(٥)</sup>

= ١٤٣/٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٧٤/٨. وقول أبي خالد - وهو يزيد بن هارون من رجال الإسناد - جاء عقب رواية البيهقي هكذا: ... فإن ذا الكلاع وحوشب أعتقا اثني عشر ألف أهل بيت، وذكر من محاسنهم أشياء. اهـ. وجاء في (م) و(د): بنت، بدل: بيت.

(١) تفسير البغوي ٢٥٣/٤.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) ٣١٩/٨.

(٤) تفسير البغوي ٢٥٣/٤.

(٥) سلف ٣٨/٤.

وقال مكحول: كُنَّا أَجِنَّةً فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِنَا، فَسَقَطَ مِنَّا مِنْ سَقَطٍ، وَكُنَّا فِي مَنِّ بَقِيٍّ، ثُمَّ صَرْنَا رُضْعَاءً، فَهَلِكُ مِنَّا مِنْ هَلِكٍ، وَكُنَّا فِي مَنِّ بَقِيٍّ، ثُمَّ صَرْنَا يَفْعَةً، فَهَلِكُ مِنَّا مِنْ هَلِكٍ، وَكُنَّا فِي مَنِّ بَقِيٍّ، ثُمَّ صَرْنَا شِبَابًا، فَهَلِكُ مِنَّا مِنْ هَلِكٍ، وَكُنَّا فِي مَنِّ بَقِيٍّ، ثُمَّ صَرْنَا شِيُوخًا - لَا أَبَا لِكَ! - فَمَا بَعْدَ هَذَا نَنْتَظِرُ<sup>(١)</sup>!؟

وروى ابنُ لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبيٌّ صغير: هو صِدِّيق. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت يهود، ما من نَسَمَةٍ يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقيٌّ أو سعيد» فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» إلى آخرها<sup>(٢)</sup>. ونحوه عن عائشة: «كان اليهود». بمثله<sup>(٣)</sup>.

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تمدحوها ولا تثنوا عليها<sup>(٤)</sup>، فإنه أبعد من الرياء، وأقرب إلى الخشوع. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ أي: أخلص العمل، واتقى عقوبة الله، عن الحسن وغيره<sup>(٥)</sup>. قال الحسن: قد عَلِمَ اللهُ سبحانه كلَّ نفسٍ ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة<sup>(٦)</sup>. وقد مضى في «النساء»<sup>(٧)</sup> الكلام في معنى هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: ٤٩] فتأمله هناك. وقال ابن عباس: ما من أحد من هذه الأمة أزكّيه غير رسول الله ﷺ<sup>(٨)</sup>. والله تعالى أعلم.

(١) النكت والعيون ٤٠٢/٥.

(٢) أسباب النزول للواحد ص ٤٢٢، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٨) من طريق يحيى بن بكير، عن ابن لهيعة، به.

(٣) المحرر الوجيز ٢٠٤/٥.

(٤) تفسير أبي الليث ٢٩٣/٣.

(٥) زاد المسير ٧٧/٨.

(٦) النكت والعيون ٤٠٢/٥.

(٧) ٤٠٧/٦.

(٨) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٢٥)، والطبراني في الكبير (١١٠٢٤).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴿٣٥﴾ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ الآيات، لما بين جهل المشركين في عبادة الأصنام، ذكر واحداً منهم معيناً بسوء فعله. قال مجاهد وابن زيد ومقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فغيره بعض المشركين، وقال: لِمَ تركت دينَ الأشياخ وضمَّلتهم<sup>(١)</sup> وزعمت أنهم في النار؟! قال: إنِّي خشيتُ عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمَّل عنه عذاب الله<sup>(٢)</sup>، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن [له] ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: كان<sup>(٣)</sup> الوليد مدح القرآن ثم أمسك عنه فنزل: «وَأَعْطَى قَلِيلًا» أي: من الخير بلسانه «وَأَكْدَى» أي: قطع ذلك وأمسك عنه<sup>(٤)</sup>. وعنه: أنه أعطى رسول الله ﷺ عقد الإيمان ثم تولى، فنزلت: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» الآية.

وقال ابن عباس والسُّدِّيُّ والكلبيُّ والمسيب بن شريك: نزلت في عثمان بن عفان ؓ كان يتصدَّق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك ألا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوباً وخطايا، وإنِّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى، وأرجو عفوهُ! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برخلها وأنا أتحمَّل عنك ذنوبك كلها. فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن

(١) في (ظ): وملكهم، وفي (د): وملتهم، وفي (ف): ومللهم، والمثبت من (م)، وأسباب النزول للواحد ص ٤٢٣، والكلام منه دون نسبه إلى مقاتل، وما بين حاصرتين منه أيضاً، والخبر أخرجه الطبري ٧٢/٢٢ عن ابن زيد بتمامه، وعن مجاهد مختصراً، وهو في تفسير مجاهد ٦٣١/٢.

(٢) بعدها في (د) و(ظ) و(ف): ففعل. ولم ترد في أسباب النزول.

(٣) في (م): كال. وهو خطأ.

(٤) تفسير البغوي ٢٥٣/٤.

بعض ما كان يصنع [من الصدقة] فأنزل الله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى. وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى» فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله. ذكر ذلك الواحدي<sup>(١)</sup> والثعلبي.

وقال السُّدِّيُّ أيضاً: نزلت في العاص بن وائل السَّهْمِيَّ، وذلك أَنَّهُ كان ربَّما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور<sup>(٢)</sup>. وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل ابن هشام، قال: والله ما يأمر محمدٌ إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله تعالى: «وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى»<sup>(٣)</sup>. وقال الضَّحَّاك: هو النَّضْر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حتى<sup>(٤)</sup> ارتدَّ عن دينه، وضمن له أن يتحمَّل عنه مائمه رجوعه.

وأصل «أَكْدَى» من الكُدْيَة، يقال لمن حَفَرَ بئراً ثم بلغ إلى حَجَرٍ لا يتهيأ له فيه حَفْرٌ: قد أَكْدَى، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يُتَمِّم، ولمن طلب شيئاً ولم يبلغ آخره<sup>(٥)</sup>. وقال الحُطَيْبَةُ<sup>(٦)</sup>:

فأعطى قليلاً ثم أَكْدَى عطاءه ومن يَبْذُلُ المعروفَ في الناسِ يُحَمِّدِ  
قال الكسائي وغيره: أَكْدَى الحافرُ وأَجْبَلُ: إذا بلغ في حَفْرِهِ كُدْيَةً أو جبلاً، فلا يمكنه أن يَحْفِرَ. وحفر فأَكْدَى: إذا بلغ إلى الصُّلْبِ. ويقال: كَدَيْتُ أصابعه: إذا كَلَّتْ من الحفر<sup>(٧)</sup>.

(١) في أسباب النزول ص ٤٢٢-٤٢٣، وما بين حاصرتين منه، وذكر الخبر أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣٣/٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٠٥/٥ ونسبه للثعلبي، ولكن ابن عطية ردَّ الخبر بقوله: وذلك كله عندي باطل، وعثمان منزه عن مثله.

(٢) قوله: في بعض الأمور. لم يرد في (م).

(٣) تفسير البغوي ٢٥٣/٤، وزاد المسير ٧٨/٨.

(٤) في (م): حين. والمثبت من النسخ الخطية وزاد المسير ٧٨/٨، والكلام منه.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٩.

(٦) لم نقف عليه في ديوانه.

(٧) الصحاح (كدي).

وكَدَيْتَ يَدُهُ: إِذَا كَلَّتْ، فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئاً. وَأَكْدَى النَّبْتُ: إِذَا قَلَّ رَيْعُهُ. وَكَدَّتِ  
الْأَرْضُ تَكْدُو كَدْواً فَهِيَ كَادِيَةٌ: إِذَا أَبْطَأَ نَبَاتُهَا، عَنْ أَبِي زَيْدٍ<sup>(١)</sup>. وَأَكْدَيْتُ الرَّجُلَ عَنِ  
الشَّيْءِ: رَدَدْتُهُ عَنْهُ. وَأَكْدَى الرَّجُلُ: إِذَا قَلَّ خَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ: «وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى» أَي:  
قَطَعَ الْقَلِيلَ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَعِنْدُهُ عِلْمٌ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾ أَي: أَعِنْدَ هَذَا الْمَكْدِيِّ عِلْمٌ مَا غَابَ عَنْهُ  
مِنْ أَمْرِ الْعَذَابِ؟! «فَهَوْ يَرَى» أَي: يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَمَا يَكُونُ مِنْ  
أَمْرِهِ حَتَّى يَضْمَنَ حَمَلَ الْعَذَابِ عَنْ غَيْرِهِ<sup>(٣)</sup>؟! وَكُفِيَ بِهَذَا جَهْلًا وَحَمَقًا. وَهَذِهِ الرَّوْيَةُ  
هِيَ الْمَتَعَدِّيَّةُ إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَالْمَفْعُولَانِ مَحذُوفَانِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَهَوْ يَرَى الْغَيْبَ مِثْلَ  
الشَّهَادَةِ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَا فِي صُحُفٍ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا  
نُنزِرُ وَزُرَّةً وَوَزَرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾  
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَكَ رَبِّكَ أَلْمَنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَا فِي صُحُفٍ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ﴾ أَي: وَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ  
﴿الَّذِي وَفَّى﴾ كَمَا فِي سُورَةِ «الْأَعْلَى»: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الآية: ١٩]: أَي: لَا  
تُؤْخَذُ نَفْسٌ بَدَلًا عَنْ أُخْرَى، كَمَا قَالَ: ﴿أَلَّا نُنزِرُ وَزُرَّةً وَوَزَرَ أُخْرَى﴾ وَخَصَّ صَحْفَ  
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَا بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ بِجَرِيرَةِ ابْنِهِ  
وَأَبِيهِ<sup>(٤)</sup>، قَالَ الْهَذِيلِيُّ بْنُ شَرْحِبِيلٍ.

(١) تهذيب اللغة ٣٢٥/١٥.

(٢) الصحاح (كدي).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٩.

(٤) في (د) و(م): أخيه وابنه وأبيه. والمثبت من (ظ) و(ف) وهو الموافق لما في النكت والعيون ٤٠٣/٥ والكلام منه.

و «أن» هذه المخففة من الثقيلة، وموضعها جرّ بدلاً من «ما»، أو يكون في موضع رفع على إضمار «هو»<sup>(١)</sup>.

وقرأ سعيد بن جبير وقتادة: «وَفَى» خفيفة<sup>(٢)</sup>، ومعناها: صدّق في قوله وعمله، وهي راجعة إلى معنى قراءة الجماعة: «وَفَى» بالتشديد، أي: قام بجميع ما فُرض عليه فلم يخرم منه شيئاً. وقد مضى في «البقرة»<sup>(٣)</sup> عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَتْهُنَّ﴾ [الآية: ١٢٤] والتوفية: الإتمام. وقال أبو بكر الورّاق: قام بشرط ما ادّعى، وذلك أن الله تعالى قال له: ﴿أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ رَبِّي الْعَلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] فطالبه الله بصحّة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه، فوجده وافياً بذلك، فذلك قوله: «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى» أي: ادّعى الإسلام، ثم صحّح دعواه.

وقيل: «وَفَى» عمله كلّ يوم بأربع ركعات في صدر النهار» رواه الهيثم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. وروى سهل بن سعد الساعدي عن أبيه: «ألا أخبركم لم سمّي الله تعالى خليله إبراهيم: «الَّذِي وَفَى»؛ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نُسُوتُ وَحِينَ نَصْبِحُونَ﴾<sup>(٥)</sup> الآية [١٧ من سورة الروم]. ورواه سهل بن معاذ بن<sup>(٦)</sup> أنس، عن أبيه، عن النبي ﷺ<sup>(٧)</sup>.

(١) الكشاف ٣٣/٤.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٧ ونسبها إلى ابن جبير واليماني، والمحاسب ٢/٢٩٤ ونسبها إلى ما نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة، وزاد: أبا أمامة وأبا مالك. البحر المحيط ٨/١٦٧.

(٣) ٣٥١/٢.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٠٣، وأخرجه أيضاً الدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٠٩)، والطبري ٧٨/٢٢، والبخاري في التفسير ٤/٢٥٤، من طريق القاسم، عن أبي أمامة، به. وفي إسناده: جعفر ابن الزبير، قال عنه ابن حجر في التقریب ١/٢١٧: متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه.

(٥) لم نقف عليه، وينظر الحديث الآتي.

(٦) في النسخ عدا (ف): عن: والمثبت من (ف) ومصادر التخریج.

(٧) أخرجه أحمد (١٥٦٢٤)، والطبري ٢٢/٧٧-٧٨، والطبراني في الكبير ٢٠/٢٧ (٤٢٧) و (٤٢٨)، وابن عدي في الكامل ٣/١٠١١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١١٧: رواه الطبراني، وفيه ضعفاء وتفقوا.

وقيل: «وَقَى» أي: وقى ما أرسل به<sup>(١)</sup>، وهو قوله: «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» قال ابن عباس: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، يأخذون الولي بالولي في القتل والجراحة، فيقتل الرجل بأبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها وعبد، فبلغهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى «وَقَى»: عمل بما أمر به، وبلغ رسالات ربّه<sup>(٣)</sup>. وهذا أحسن؛ لأنه عام. وكذا قال مجاهد: «وَقَى» بما فرض عليه<sup>(٤)</sup>. وقال أبو مالك الغفاري: قوله تعالى: «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» إلى قوله: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى» في صحف إبراهيم وموسى<sup>(٥)</sup>. وقد مضى في آخر «الأنعام»<sup>(٦)</sup> القول في: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» مستوفى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ روي عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا طَرَفُوا لِحُبُلِ الْكُفْرِ الْكَبِيرِ﴾ [النساء: ١١].

(١) زاد المسير ٨٠/٨ وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٥٤ بنحوه.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٥٣.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٥٣.

(٥) أخرجه الطبري ٧٩/٢٢ إلا أن فيه: إلى قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾.

(٦) ١٤٥/٩.

(٧) أخرجه الطبري ٨٠/٢٢، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/٣٦، قال ابن عطية في المحرر الوجيز

٢٠٦/٥ بعد أن أورد الخبر: وهذا لا يصح عندي على ابن عباس، لأنه خير لا ينسخ، ولأن شروط

النسخ ليست هنا، اللهم إلا أن يتجاوز في لفظه النسخ ليفهم سائلاً.

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة، ولا ينفع أحداً عملٌ أحدٍ، وأجمعوا أنه لا يُصليُّ أحدٌ عن أحد. ولم يُجزَ مالك الصيام والحجَّ والصدقة عن الميت، إلا أنه قال: إن أوصى بالحجِّ ومات، جاز أن يُحجَّ عنه. وأجاز الشافعيُّ وغيره الحجَّ التطوع عن الميت<sup>(١)</sup>. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن واعتقت عنه<sup>(٢)</sup>. وروي أن سعد بن عبادَةَ قال للنبيِّ ﷺ: إنَّ أمِّي توفيت أفأتصدَّق عنها؟ قال: «نعم» قال: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»<sup>(٣)</sup>. وقد مضى جميع هذا مستوفى في «البقرة»<sup>(٤)</sup> و«آل عمران»<sup>(٥)</sup> و«الأعراف»<sup>(٦)</sup>.

وقد قيل: إنَّ الله عز وجل إنَّما قال: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» ولام الخفض معناها في العربية الملْك والإيجاب، فليس يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا تصدَّق عنه غيره، فليس يجب له شيء، إلا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يتفضَّل عليه بما لا يجب له، كما يتفضَّل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل<sup>(٧)</sup>. وقال الربيع بن أنس: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» يعني: الكافر، وأما المؤمن فله ما سعى، وما سعى له غيره<sup>(٨)</sup>.

قلت: وكثير من الأحاديث يدلُّ على هذا القول، وأنَّ المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره، وقد تقدَّم كثير منها لمن تأملها، وليس في الصدقة اختلاف، كما في صدر «كتاب مسلم»<sup>(٩)</sup> عن عبد الله بن المبارك. وفي «الصحيح»<sup>(١٠)</sup>: «إذا

(١) قول مالك في المدونة ٥٨/٦، وقول الشافعي في الأم ٤٦/٤.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في السنن ١٢٥/١، وابن أبي شيبة ٩٤/٣.

(٣) سلف ٢٣٣/٩.

(٤) ٥٠٠/٤.

(٥) ٢٢٧/٥.

(٦) ٢٣٣/٩.

(٧) المحرر الوجيز ٢٠٦/٥-٢٠٧ بنحوه.

(٨) المحرر الوجيز ٢٠٦/٥.

(٩) في مقدمة كتابه ١٦/١.

(١٠) مسلم (١٦٣١)، وسلف ٨/١.

مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث» وفيه: «أو ولد صالح يدعو له» وهذا كله تفضُّل من الله عزَّ وجلَّ، كما أنَّ زيادة الأضعاف فَضْلٌ منه؛ كتب لهم بالحسنة الواحدة عَشْرًا إلى سبع مئة ضعف إلى ألف ألف حسنة، كما قيل لأبي هريرة: أسمعَتْ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة»؟ فقال سمعته يقول: «إنَّ اللهَ ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة»<sup>(١)</sup> فهذا تفضُّل. وطريق العدل: «أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى».

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» خاصًّا في السيئة؛ بدليل ما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها، كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها له عَشْرَ حسَنَاتٍ إلى سبع مئة ضعف، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها، لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر الوراق: «إِلَّا مَا سَعَى» إلا ما نوى<sup>(٣)</sup>. بيانه قوله ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ سَعَيْهُمْ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يُرِيهِ اللهُ تَعَالَى جَزَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٥)</sup> ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ أي: يُجْزَى بِهِ ﴿الْجَزَاءَ الْأَوْفَقَ﴾. قال الأخفش: يقال: جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء، سواء لا فَرَقَ بينهما، قال الشاعر:

إِنْ أَجْرَ عَلْقَمَةَ بَنَ سَعْدِ سَعِيهِ      لَمْ أَجْزِهِ بِبَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ

(١) سلف ٦/٣٢٤.

(٢) سلف ١١/٣١٥.

(٣) زاد المسير ٨/٨١.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٩) عن أبي هريرة ؓ، قال البوصيري في الزوائد: في إسناده ليث بن سليم، وهو ضعيف، ويشهد له حديث جابر، وقد رواه مسلم [٢٨٧٨]. اهـ. وأخرجه أيضاً مسلم (٢٨٨٤) عن عائشة رضي الله عنها بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/٧٦.

فجمع بين اللغتين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنِينَ﴾ أي: المرجع والمرد والمصير، فيعاقب ويثيب. وقيل: منه ابتداء المنة، وإليه انتهاء الأمان. وعن أبي بن كعب قال: قال النبي ﷺ في قوله: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنِينَ» قال: «لا فكرة في الرب»<sup>(٢)</sup>. وعن أنس: قال النبي ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فَانْتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلقت هذا وكذا، حتى يقول له: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ. فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله ولينته» وقد تقدم في آخر «الأعراف»<sup>(٤)</sup>. ولقد أحسن من قال:

وَلَا تُفَكِّرَنَّ فِي ذِي الْعَلَا عَزَّ وَجْهَهُ      فَإِنَّكَ تَرْدِي إِنْ فَعَلْتَ وَتُخَذَلُ  
وَدُونَكَ مَصْنُوعَاتِهِ فَاعْتَبِرْ بِهَا      وَقُلْ مِثْلَ مَا قَالَ الْخَلِيلُ الْمَبْجَلُ

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾<sup>(٤٣)</sup> ﴿وَأَنَّ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾<sup>(٤٤)</sup> ﴿وَأَنَّ هُوَ خَلَقَ الرَّزْمِينَ الذَّكْرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(٤٥)</sup> ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُنْفَخُ﴾<sup>(٤٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ذهب الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى فلا فاعل إلا هو. وفي «صحيح مسلم»<sup>(٥)</sup> عن عائشة رضي الله عنها قالت:

(١) تفسير البغوي ٤/٢٥٤-٢٥٥ بنحوه، والبيت لرجل من بهراء اسمه فذكى كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/٧٠، وسماء المرزباني في معجم الشعراء ص ٤٤٦ المرفاق الطائي وقال: وأحسبه لقباً. اهـ. وجاء فيهما: سيف، بدل: سعد.

(٢) أخرجه البغوي في التفسير ٤/٢٥٥، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة (٦) عن سفيان، قوله.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/١١٩٣ عن أنس، وفي إسناده: سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان، وقد اختلف فيه فقال النسائي عنه: منكر الحديث. وقال أحمد بن حنبل: روى خمسة عشر حديثاً منكراً كلها، ما أعرف منها واحداً. تهذيب التهذيب ١/٦٩٢ - ٦٩٣. وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه في المسند (٣٩٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٣٥٠) من طريق عطاء الخراساني، عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده منقطع، لأن عطاء لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) ٤٢٣/٩.

(٥) برقم (٩٢٩)، وهو عند أحمد (٢٨٨).

لا والله ما قال رسولُ الله قَطُّ: إِنَّ الميِّتَ يعذبُ ببكاءِ أحدٍ، ولكنَّهُ قال: «إِنَّ الكافرَ يزيدُهُ اللهُ ببكاءِ أهله عذاباً، وإنَّ اللهَ لهو أضحك وأبكى، وما تَزُرُّ وَاِزْرَةٌ وَرَزَرَ أُخْرَى».

وعنها قالت: مرَّ النبيُّ ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فنزل عليه جبريلُ فقال: يا محمد! إنَّ الله يقول لك: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى». فرجع إليهم فقال: «ما خطوتُ أربعين خطوةً حتى أتاني جبريلُ فقال: إيتِ هؤلاء فقل لهم: إنَّ اللهَ تعالى يقول: هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى»<sup>(١)</sup>. أي: قضى أسبابَ الضحك والبكاء. وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني: أفرح وأحزن؛ لأنَّ الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء<sup>(٢)</sup>. وقيل لعمر: هل كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبتُ في قلوبهم من الجبال الرواسي<sup>(٣)</sup>. وقد تقدّم هذا المعنى في «النمل»<sup>(٤)</sup> و«براءة»<sup>(٥)</sup>.

قال الحسن: أضحك اللهُ أهلَ الجنة في الجنة، وأبكى أهلَ النار في النار<sup>(٦)</sup>. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سرَّه، وأبكى من شاء بأن عمَّه<sup>(٧)</sup>. الضحَّاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر<sup>(٨)</sup>. وقيل: أضحك الأشجار بالتُّوَّار، وأبكى السحاب بالأمطار<sup>(٩)</sup>. وقال ذو النون: أضحك قلوبَ المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوبَ الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته. وقال سهل

(١) زاد المسير ٨/٨٣، وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/١٣٠.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٥٥.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٥٥ عن ابن عمر بنحوه.

(٤) عند الآية (١٩).

(٥) ٣١٨/١٠.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٥٥ لكن عزاه إلى مجاهد والكلبي.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٧٨.

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٥٥.

(٩) مجمع البيان للطبرسي ٢٧/٥٩، والتُّوَّار: الزهر. اللسان (نور).

ابن عبد الله: أضحك الله المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط. وقال محمد ابن علي الترمذي: أضحك المؤمن في الآخرة، وأبكاه في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله<sup>(١)</sup>: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

السُّنُّ تَضَحُّكَ وَالْأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ      وَإِنَّمَا ضِحْكُهَا زُورٌ وَمُخْتَلَقٌ  
يَا رَبِّ بَاكِ بِعَيْنٍ لَا دَمَوْعَ لَهَا      وَرَبِّ ضَاكِ سُنُّ مَا بِهِ رَمَقٌ

وقيل: إن الله خصَّ الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إِنَّ الْقِرَدَ وَحْدَهُ يَضْحَكُ وَلَا يَبْكِي، وَإِنَّ الْإِبِلَ وَحْدَهَا تَبْكِي وَلَا تَضْحَكُ<sup>(٢)</sup>. وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي: أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا ولا كلُّ مَنْ دُونَ الْعَرْشِ مِنْذُ خُلِقَتْ جَهَنَّمُ.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ أي: قضى أسباب الموت والحياة. وقيل: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [تبارك: ٢] قاله ابن بحر<sup>(٣)</sup>. وقيل: أَمَاتَ الْكَافِرَ بِالْكَفْرِ، وَأَحْيَا الْمُؤْمِنَ بِالْإِيمَانِ<sup>(٤)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الآية [١٢٢ من سورة الأنعام]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] على ما تقدّم، وإليه يرجع قول عطاء: أَمَاتَ بِعَدْلِهِ، وَأَحْيَا بِفَضْلِهِ. وقول من قال: أَمَاتَ بِالْمَنْعِ وَالْبَخْلِ، وَأَحْيَا بِالْجُودِ وَالْبَذْلِ. وقيل: أَمَاتَ النُّطْفَةَ، وَأَحْيَا النَّسْمَةَ. وقيل: أَمَاتَ الْآبَاءَ، وَأَحْيَا الْأَبْنَاءَ. وقيل: يريد بالحياة: الخصب،

(١) هو: بسام بن عبد الله الأسدي الكوفي الصيرفي، سمع عكرمة وأبا جعفر محمد بن علي، روى عنه أبو أحمد الزبير وأهل الكوفة، وعنده مراسيل. التاريخ الكبير ١٤٤/٢، والفتاوى لابن حبان ١١٩/٦.

(٢) النكت والعيون ٤٠٤/٥.

(٣) النكت والعيون ٤٠٤/٥.

(٤) المحرر الوجيز ٢٠٧/٥ وعزاه إلى الثعلبي.

وبالموت: الجذب. وقيل: أنام وأيقظ<sup>(١)</sup>. وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّزْمَيْنِ الذَّكْرَ وَالْأُنثَى﴾ أي: من أولاد آدم، ولم يُرِدْ آدم وحواء بأنهما  
خُلِقا من نُظْفَة.

والنظفة: الماء القليل، مشتق من نطف الماء: إذا قَطَر<sup>(٣)</sup>. ﴿تَتَقَى﴾ تُصَبُّ في  
الرحم وتُراق، قاله الكلبي والضحاك وعطاء بن أبي رباح<sup>(٤)</sup>، يقال: مَنَى الرجل  
وأمنى من المني. وسُميت مِنَى بهذا الاسم؛ لما يُمنَى فيها من الدماء، أي: يُراق<sup>(٥)</sup>.  
وقيل: «تُمَنَى» تُقَدَّر، قاله أبو عبيدة<sup>(٦)</sup>. يقال: مَنَيْت الشيء: إذا قَدَّرته، ومُنِي له،  
أي: قُدِّر له، قال الشاعر:

حَتَّى تَلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

أي: ما يُقَدِّر لك القادر<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ ٤٧ ﴿وَأَنْتُمْ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ ٤٨ ﴿وَأَنَّ هُوَ رَبُّ  
السَّمْعَى﴾ ٤٩ ﴿وَأَنَّ هُوَ أَهْلَكَ عَادَا الْأُولَى﴾ ٥٠ ﴿وَتَمُودًا مَّا أَتَى﴾ ٥١ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ  
كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾ ٥٢ ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى﴾ ٥٣ ﴿فَغَشَّيْنَا مَا عَشَى﴾ ٥٤ ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَ  
نَتَمَارَى﴾ ٥٥ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ أي: إعادة الأرواح في الأشباح للبعث

(١) النكت والعيون ٤٠٤/٥.

(٢) تفسير أبي الليث ٢٩٤/٣.

(٣) تهذيب اللغة ٣٦٦/١٣.

(٤) تفسير البغوي ٢٥٥/٤، ولم يعزه للكلبي، وعزاه إليه الماوردي في النكت والعيون ٤٠٥/٥.

(٥) تهذيب اللغة ٥٣١/١٥.

(٦) في مجاز القرآن له ٢٣٨/٢.

(٧) الصحاح (مني)، والبيت سلف ٢١٩/٢.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَةَ» بفتح الشين والمد<sup>(١)</sup>، أي: وعد ذلك، ووَعَدَهُ صِدْقٌ. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ قال ابن زيد: أغنى من شاء، وأفقر من شاء<sup>(٢)</sup>، ثم قرأ: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: ٦٢] وقرأ: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] واختاره الطبري<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن زيد أيضاً ومجاهد وقتادة والحسن: «أَغْنَىٰ»: مَوْلَىٰ، «وَأَقْنَىٰ»: أخدم<sup>(٤)</sup>.

وقيل: «أَقْنَىٰ» جعل لكم قنينة تقتنونها<sup>(٥)</sup>، وهو معنى أخدم أيضاً<sup>(٦)</sup>.

وقيل: معناه: أَرْضَىٰ بما أعطى، أي: أغناه ثم رَضَاهُ بما أعطاه، قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>.

وقال الجوهري<sup>(٨)</sup>: قَنِي الرجل يَقْنِي قَنَى، مثل غَنِي يَغْنِي غِنَى، وأقناه الله، أي:

أعطاه الله ما يُقْتَنِي من القُنْيَةِ والنَّسَبِ. وأقناه أيضاً، أي: أرضاه. والقِنَى: الرضا، عن أبي زيد، قال: وتقول العرب: من أعطيت مئة من المعز، فقد أعطيت القِنَى، ومن أعطيت مئة من الضأن، فقد أعطيت الغنى، ومن أعطيت مئة من الإبل، فقد أعطيت المُنَى. ويقال: أغناه الله وأقناه، أي: أعطاه ما يَسْكُنُ إليه.

وقيل: «أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ» أي: أَعْنَىٰ نفسه، وأفقر خَلَقَهُ إليه، قاله سليمان التيمي<sup>(٩)</sup>.

(١) السبعة ص ٤٩٨، والتيسير ص ١٧٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٤.

(٣) في التفسير ٨٥/٢٢ دون ذكر آية البقرة.

(٤) أخرجه الطبري ٨٣/٢٢ عن مجاهد وقتادة والحسن.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٠.

(٦) تفسير البغوي ٢٥٦/٤ وعزاه إلى قتادة والحسن، وأخرجه عنهما الطبري ٨٣/٢٢.

(٧) تفسير البغوي ٢٥٦/٤، وأخرجه عنه الطبري ٨٣/٢٢.

(٨) في الصحاح (قني).

(٩) أخرجه الطبري ٨٤/٢٢، وأبو الشيخ في العظمة (١٧٦).

وقال سفيان: أغنى بالقناعة، وأقنى بالرضا<sup>(١)</sup>. وقال الأخفش: أقنى: أفر. قال ابن كيسان: أولد<sup>(٢)</sup>. وهذا راجع لما تقدّم.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾ «الشُّعْرَى»: الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء<sup>(٣)</sup>، وطلوعه في شدة الحرّ، وهما الشعريان: العبور التي في الجوزاء، والشعري الغميضاء التي في الذراع<sup>(٤)</sup>، وتزعم العرب أنّهما أختا سهيل.

وإنّما ذكر أنّه ربُّ الشُّعْرَى وإن كان ربّاً لغيره؛ لأنّ العرب كانت تعبده، فأعلمهم الله جلّ وعزّ أنّ الشُّعْرَى مربوب وليس برّب. واختلف فيمن كان يعبده، فقال السديّ: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أوّل من عبده أبو كبشة - أحد أجداد النبي ﷺ من قبيل أمّهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمّون النبي ﷺ: ابن أبي كبشة، حين دعا إلى الله وخالف أديانهم، وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكرُ رسول الله ﷺ تمرّ عليه: لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كبشة - وقد كان من لا يعبد الشُّعْرَى من العرب يعظّمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

مَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحَرُورُ      وَأُخْبِتَ نَارَهَا الشُّعْرَى الْعَبُورُ<sup>(٥)</sup>  
وقيل: إنّ العرب تقول في خرافاتها: إن سُهَيْلاً والشُّعْرَى كانا زوجين، فانحدر

(١) النكت والعيون ٤٠٥/٥ .

(٢) تفسير البغوي ٢٥٦/٤ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٠ .

(٤) تفسير البغوي ٢٥٦/٤ .

(٥) النكت والعيون ٤٠٥/٥ عدا ما بين معترضتين فمن النهاية (كبش)، وشرح مشكل الآثار ١٨٥/٢ بنحوه، وقول أبي سفيان أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٢)، وأحمد (٢٣٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن الأثير في النهاية (أمر): ومنه حديث أبي سفيان: لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كبشة: أي: كثر وارتفع شأنه، يعني النبي ﷺ. اهـ. والبيت لأبي نواس وهو في ديوانه ص ٣٢١ .

سُهَيْلٍ فَصَارَ يَمَانِيًا ، فَاتَّبَعْتَهُ الشَّعْرَى الْعَبُورَ فَعَبَّرْتَ الْمَجْرَةَ فَسَمَّيْتَ الْعَبُورَ ، وَأَقَامْتَ الْعُمَيْصَاءَ فَبَكَتَ لِفَقْدِ سُهَيْلٍ حَتَّى غَمِصْتَ عَيْنَاهُ فَسَمَّيْتَ غَمِصَاءً ؛ لِأَنَّهَا أَخْفَى مِنَ الْآخَرَى <sup>(١)</sup> .

﴿وَأَنفَهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ سَمَّاهَا الْأُولَى ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ ثَمُودَ . وَقِيلَ : إِنَّ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِ <sup>(٢)</sup> عَادَ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : قِيلَ لَهَا : عَادَ الْأُولَى ؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ أُمَّةٍ أَهْلَكَتْ بَعْدَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(٣)</sup> . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : هُمَا عَادَانِ ، فَالْأُولَى أَهْلَكَتْ بِالرِّيحِ الصَّرْصَرِ ، ثُمَّ كَانَتْ الْآخَرَى فَأَهْلَكَتْ بِالصَّيْحَةِ . وَقِيلَ : عَادَ الْأُولَى هُوَ : عَادَ ابْنُ إِرْمَ ابْنِ عَوْصِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَعَادَ الثَّانِيَةَ مِنْ وَلَدِ عَادِ الْأُولَى <sup>(٤)</sup> . وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ . وَقِيلَ : إِنَّ عَادًا الْآخِرَةَ الْجَبَّارُونَ ، وَهُمُ قَوْمُ هُودَ <sup>(٥)</sup> .

وقراءة العامة: «عَادًا الْأُولَى» ببيان التنوين والهمز. وقرأ نافع وابن مُحَيِّصِنَ وَأَبُو عمرو: «عَادًا لُؤْلَى» <sup>(٦)</sup> بنقل حركة الهمزة إلى اللام وإدغام التنوين فيها، إلا أن قالون والسوسي يُظهِران الهمزة الساكنة. وقلبها الباقون واوًا على أصلها، والعرب تقلب هذا القلب فتقول: قُمْ لَانَ عَنَا، وَصُمْ لَثْنِينَ، أَي: قُمْ الْآنَ، وَصُمْ الْاِثْنِينَ <sup>(٧)</sup> .

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ ثَمُودَ : هُمُ قَوْمُ صَالِحٍ أَهْلَكُوا بِالصَّيْحَةِ <sup>(٨)</sup> . قُرئَ : «تَمُودًا» و«ثَمُودًا» وَقَدْ تَقَدَّمَ <sup>(٩)</sup> . وَانْتَصَبَ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى عَادَ <sup>(١٠)</sup> .

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢/٣٥٤ بنحوه.

(٢) في (ظ): نسل.

(٣) الكشف ٤/١٢٠ ولم يعزه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٨٠ وعزاه إلى ابن إسحاق.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٠٨ .

(٦) السبعة ص ٦١٥ ، والتيسير ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، والنشر ١/٤١٠ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٦٨٧ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٠٢ .

(٨) الوسيط ٤/٢٠٥ .

(٩) ٢٦٦/٩ .

(١٠) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٨١ .

﴿وَقَوْمٌ ثُوًجٌ مِّن قَبْلُ﴾ أي: وأهلك قوم نوح من قبل عاد وشمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ أَظْلَمَ وَأَلَمَن﴾ وذلك لطول مدة نوح فيهم<sup>(١)</sup>، حتى كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه فينطلق إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا؛ فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي مثل ما قلت لك<sup>(٢)</sup>. فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه.

وقيل: إن الكناية ترجع إلى كل من ذكر من عاد وشمود وقوم نوح، أي: كانوا أكفر من مشركي العرب وأطغى. فيكون فيه تسلية وتعزية للنبي ﷺ، فكأنه يقول له: فاصبر أنت أيضاً، فالعاقبة الحميدة لك.

﴿وَالْمُؤَفِّكَةَ أَهْوَى﴾ يعني: مدائن قوم لوط عليه السلام ائتفكت بهم، أي: انقلبت<sup>(٣)</sup>، وصار عاليها سافلها. يقال: أفكته، أي: قلبته وصرفته<sup>(٤)</sup>. «أهوى» أي: خسف بهم بعد رفعها إلى السماء، رفعها جبريل ثم أهوى بها إلى الأرض<sup>(٥)</sup>. وقال المبرد: جعلها تهوي. ويقال: هوى - بالفتح - يهوي هويًا، أي: سقط<sup>(٦)</sup>. و«أهوى» أي: أسقط<sup>(٧)</sup>.

﴿فَجَعَلْنَا مَا عَشَى﴾ أي: ألبسها ما ألبسها من الحجارة، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾<sup>(٨)</sup> [الحجر: ٧٤]، وقيل: إن الكناية ترجع إلى جميع هذه الأمم، أي: عشاها من العذاب ما عشاها، وأبهم؛ لأن كلاً منهم أهلك بضرب غير ما أهلك به الآخر. وقيل: هذا تعظيم الأمر.

(١) الوسيط ٢٠٥/٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٤، والمحور الوجيز ٢٠٩/٥ بنحوه، وأخرجه الطبري ٨٩/٢٢ عن قتادة.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٠.

(٤) الصحاح (أفك).

(٥) تفسير أبي الليث ٢٩٥/٣.

(٦) الصحاح (هوي).

(٧) تهذيب اللغة ٤٨٩/٦.

(٨) تفسير أبي الليث ٢٩٥/٣.

﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكَ تَمَّارِينَ﴾ أي: فبأي نِعَمِ رَبِّكَ تشكُّ، والمخاطبة للإنسان المكذِّب، والآلاء: النعم، واحدها: ألى وإلى وإلي<sup>(١)</sup>. وقرأ يعقوب: «تَمَّارِي» بإدغام إحدى التاءين في الأخرى والتشديد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ۗ ﴿٥٦﴾ أَرَفَتِ الْأَرْضُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَوَيْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضَعُكُمْ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْبُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ﴾ قال ابن جريج ومحمد بن كعب: يريد أن محمداً ﷺ نذيرٌ بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله<sup>(٣)</sup>، فإن أطمعتموه أفلحتم، وإلا حلَّ بكم ما حلَّ بمكذِّبي الرسل السالفة.

وقال قتادة: يريد القرآن، وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى<sup>(٤)</sup>.

وقيل: أي: هذا الذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الذين هلكوا تخويِّفٌ لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر، أي: مثل النذر<sup>(٥)</sup>، والنذر في قول العرب بمعنى الإنذار<sup>(٦)</sup>، كالتنكير بمعنى الإنكار، أي: هذا إنذار لكم. وقال أبو مالك: هذا الذي أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية هو في صحف إبراهيم وموسى<sup>(٧)</sup>. وقال السدي: أخبرني أبو صالح قال: هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله تعالى: «أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ» إلى قوله: «هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٢.

(٢) النشر ١/ ٣٠٠، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٤٧ ونسبها إلى ابن محيصن.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٠٦، والمحرم الوجيز ٥/ ٢٠٩.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٠٦.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٨.

(٦) لسان العرب (نذر).

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٩٤.

التُّذْرِ الْأُولَى» كل هذه في صحف إبراهيم وموسى<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَزْفَتِ الْأَزْفَةَ﴾ أي: قربت الساعة ودنت القيامة. وسماها آزفة؛ لقرب قيامها عنده<sup>(٢)</sup>، كما قال: ﴿بِرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَزَنَّهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]. وقيل: سماها آزفة؛ لدنوها من الناس وقربها منهم<sup>(٣)</sup>؛ ليستعدوا لها؛ لأن كل ما هو آت قريب. قال:

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ<sup>(٤)</sup>  
وفي «الصحاح»<sup>(٥)</sup>: أَزِفَ التَّرْحُلُ يَأَزِفُ أَزْفًا، أي: دنا وأفد، ومنه قوله تعالى: «أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ» يعني القيامة، وأَزِفَ الرجلُ، أي: عَجَلَ، فهو آزِفٌ على فاعل، والمتآزِف: القصير وهو المتداني. قال أبو زيد: قلت لأعرابي ما الْمُحْبِنُطِيُّ؟ قال: المتكأكي. قلت: ما المتكأكي؟ قال: المتآزِف. قلت: ما المتآزِف؟ قال: أنت أحمق! وتركني ومَرَّ.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: ليس لها من دون الله من يؤخرها أو يقدمها. وقيل: كاشفة، أي: انكشاف، أي: لا يكشف عنها ولا يبديها إلا الله، فالكاشفة اسم بمعنى المصدر، والهاء فيه كالهاء في العاقبة والعافية والداهية والباقية<sup>(٦)</sup>، كقولهم: ما لفلان من باقية، أي: من بقاء<sup>(٧)</sup>. وقيل: أي: لا أحد يردُّ ذلك<sup>(٨)</sup>، أي:

(١) سلف ص ٥٤ من هذا الجزء عن أبي مالك الغفاري بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٤٠٦/٥ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٧٨/٥ .

(٤) الفائل النابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣٨، وفيه: أفد، بدل: أزف، وهما بمعنى. وجه البيت في البيان والتبيين ٢/٢٨٠ كما في الرواية هنا.

(٥) مادة (أزف)، وحكاية أبي زيد الآتية ذكرها أبو طاهر المقرئ في كتابه أخبار النحويين، في ترجمة أبي زيد.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٥٧ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٠٣ .

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٥٧ .

إنَّ القيامة إذا قامت لا يكشفها أحدٌ من آلهتهم، ولا ينجيهم غير الله تعالى. وقد سُميت القيامةُ غاشيةً، فإذا كانت غاشيةً، كان ردُّها كشفًا، فالكاشفة على هذا نعت مؤنث محذوف، أي: نفس كاشفة، أو: فرقة كاشفة، أو: حال كاشفة. وقيل: إنَّ «كاشفة» بمعنى كاشف، والهاء للمبالغة، مثل راوية وداهية<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. وهذا استفهام توبيخ<sup>(٢)</sup> ﴿تَعْجِبُونَ﴾ تكذيباً به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ انزجاراً وخوفاً من الوعيد<sup>(٣)</sup>. وروي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ما رُئي بعد نزول هذه الآية ضاحكاً إلا تَسُماً<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو هريرة: لما نزلت: «أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ» قال أهل الصُّفَّة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي ﷺ بكاءهم، بكى معهم، فبكينا لبكائه، فقال النبي ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو حازم: نزل جبريلُ على النبي ﷺ وعنده رجل يبكي، فقال له: من هذا؟ قال: «هذا فلان». فقال جبريل: إِنَّا نَزَرْنَا أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا إِلَّا الْبَكَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيَطْفِئَ بِالْدمعة الواحدة بحوراً من جهنم<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ﴾ أي: لاهون معرضون. عن ابن عباس، رواه الوالبيُّ والعمريُّ عنه. وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة جَمِيرٍ - يقال: سَمَدٌ لَنَا، أي: غنُّ لَنَا -

(١) المحرر الوجيز ٢١٠/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢١٠/٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٢٩٦/٣.

(٤) الكشف ٣٥/٤.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٨٩/١ بنحوه.

(٦) أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٥ عن رجل يقال له: خازم.

فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى، تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا<sup>(١)</sup>. وقال الضحَّاك: سامدون: شامخون متكبرون<sup>(٢)</sup>. وفي «الصحاح»<sup>(٣)</sup>: سَمَدٌ سُمُودٌ: رفع رأسه تكبُّراً، وكلُّ رافع رأسه، فهو سامد، قال:

سَوَامِدَ اللَّيْلِ خِفافَ الأَزْوَادِ<sup>(٤)</sup>

يقول: ليس في بطونها عَلف. وقال ابن الأعرابي: سَمَدْتُ سُمُوداً: علوث. وَسَمَدَتِ الإبِلُ في سيرها: جَدَّتْ. والسُّمُود: اللُّهُو، والسامد: اللّاهي، يقال للقيّنة: أَسْمِدِينا، أي: ألھينا بالغناء. وتسميد الأرض: أن يجعل فيها السامد، وهو سِرْجِين ورماد. وتسميد الرأس: استئصال شعره، لغة في التَّسْبِيد. واسمادُ الرجلُ - بالهمز - اسمئداداً، أي: ورم غضباً.

وروي عن عليّ ؑ أن معنى «سامدون»: أن يجلسوا غير مصليين ولا منتظرين الصلاة. وقال الحسن: واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام، ومنه ما روي عن النبيّ ﷺ أنه خرج والناس ينتظرونه قياماً فقال: «ما لي أراكم سامدين» حكاه الماوردي<sup>(٥)</sup>. وذكره المهديّ عن عليّ، وأنه خرج إلى الصلاة فرأى الناس قياماً فقال: «ما لكم سامدون» قاله المهديّ<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٤/٢٥٧ عدا ما بين معترضتين فمن غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٤٨١، وقول عكرمة أخرجه الطبري ٢٢/٩٧ عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/٩٨، وأبو يعلى (٢٦٨٥) عن الضحَّاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) مادة (سمد).

(٤) الراجز رؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص ٣٩، وقبلة:

قَلَّصَن تَقْلِيصَ النِّعَامِ الوَحَّادِ

(٥) في النكت والعيون ٥/٤٠٧، وفيه قول علي والحسن، والحديث أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث

٣/٤٨٠ مرفوعاً، وذكر محققه أن في بعض النسخ الخطية: عن علي رحمة الله عليه. اهـ. ولم نقف عليه

مرفوعاً، وسيأتي من قول علي في التعليق الآتي.

(٦) وأخرجه ابن أبي شيبة ١/٤٠٥، والطبري ٢٢/١٠٠.

والمعروف في اللغة: سَمَدٌ يَسْمُدُ سُمُودًا: إذا لَهَا وأعرض. وقال المبرد:

سامدون خامدون، قال الشاعر:

أتى الحدثان نِسوةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدُورٍ سَمَدْنٍ لَهُ سُمُودًا<sup>(١)</sup>

وقال صالح أبو الخليل: لما قرأ النبي ﷺ: «أَقْمِنِ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ.

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ. وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ» لم يُرْ ضاحكاً إلا مبتسماً حتى مات ﷺ. ذكره النحاس<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوا﴾ قيل: المراد به سجود تلاوة القرآن. وهو قول

ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. وبه قال أبو حنيفة والشافعي<sup>(٤)</sup>. وقد تقدّم أول السورة<sup>(٥)</sup> من حديث

ابن عباس أن النبي ﷺ سجد فيها، وسجد معه المشركون. وقيل: إنما سجد معه

المشركون؛ لأنهم سمعوا أصوات الشياطين في أثناء قراءة رسول الله ﷺ عند قوله:

«أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» وأنه قال: تلك الغرانيق العُلا

وشفاعتهن تُرتجى. كذا في رواية سعيد بن جبير: ترتجى. وفي رواية أبي العالية:

وشفاعتهن ترتضى، ومثلهن لا يُنسى. ففرح المشركون وظنوا أنه من قول محمد ﷺ،

على ما تقدّم بيانه في «الحج»<sup>(٦)</sup>. فلما بلغ الخبر بالحبشة من كان بها من أصحاب

النبي ﷺ رجعوا ظناً منهم أن أهل مكة آمنوا، فكان أهل مكة أشدّ عليهم، وأخذوا في

(١) النكت والعيون ٤٠٧/٥، والبيت اختلف في نسبه، فنسبه المرزباني في معجم الشعراء ص ١٧٧،

وابن قتيبة في عيون الأخبار ٦٧/٣ إلى فضالة بن شريك، ونسبه القالي في ذيل الأمالي ١١٥/٣ إلى

الكميت الأسدي، ونسبه المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٩٤١/٢ لعبد الله بن الزبير الأسدي.

(٢) لم تقف عليه عند النحاس، وسلف ص ٦٧ من هذا الجزء.

(٣) النكت والعيون ٤٠٧/٥.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٧٢٣/٣.

(٥) ص ٥ من هذا الجزء.

(٦) ٤٢٥/١٤.

تعذيبهم إلى أن كشف الله عنهم.

وقيل: المراد سجود الفرض في الصلاة، وهو قول ابن عمر، كان لا يراها من عزائم السجود<sup>(١)</sup>. وبه قال مالك.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه: كان آخر فعل النبي ﷺ ترك السجود في المفصل. والأول أصح، وقد مضى القول فيه آخر «الأعراف»<sup>(٢)</sup> مبيناً، والحمد لله رب العالمين.

تم تفسير سورة «النجم»

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٧٢٣.

(٢) ٤٣٦/٩.